الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الشهيد حمة لخضر – الوادي-

كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية **قسم : العلوم الإنسانية**

سقوط روما 476م

(قراءة في الأسباب والخلفيات)

مذكرة مكملة تدخل ضمن متطلبات نيل شهادة الماستر

في: التاريخ القديم تخصص: تاريخ الحضارات القديمة

إعداد الطالبتين: **إشراف :**

- هنـدة مكـــي أ/ د. محمد رشدي جراية
- رانيا سوسى

لجنة المناقشة

الأستاذ	الصفة	المؤسسة الأصلية
أ/ د. محمد رشدي جراية	مشرفا	جامعة حمة لخضر الوادي
د. عمر بوصبيع	ممتحنا1	جامعة حمة لخضر الوادي
د. التجاني مياطة	ممتحنا2	جامعة حمة لخضر الوادي

السنة الجامعية: 2021/2020

بسم الله الرحمن الرحيم
كلك ١٤١٧

الإهداء

الحمد لله الذي وفقنا لهذا ولم نكن لنصل إليه لولا فضل الله علينا.

أما بعد تعبيرا عن الامتنان والتقدير ورمزا للوفاء والإخلاص واعترافا بالفضل والجميل، أهدي هذا العمل المتواضع إلى مثال الصبر والحنان ورمز العطاء والتضحية إلى من كلّله الله بالهيبة والوقار وإلى من علّمني العطاء بدون انتظار إلى من احمل اسمه بكل افتخار، أرجو من الله أن يمد في عمرك أبي الغالي.

إلى ملاكي في الحياة إلى معنى الحب والحنان، بسمة الحياة التي من كان دعاؤها سر نجاحي وحنانها بلسم جراحي أمي الحبيبة.

أطال الله في عمرهما ومتعهما بالصحة والعافية.

إلى الزّوج والحبيب الذي أجده دوما بجانبي ورفقتي خطوة بخطوة، ساعدني طيلة مشوار هذه الرسالة في جمع المادة العلمية والكتابة إلى آخر لحظة لمضي العمل نحو الأمام بكل صبر واحتساب.

حفظه الله

إلى روحي ورفيقة دربي أختي الغالية "آمنة"

إلى اخوتي واخواتي وازواجهم كما لا انسى أولادهم "دعاء، المعتصم بالله، محمد ضياء الدين، صلاح الدين، أيمن، حسام، لينة، نور، إسحاق".

وإلى من شاركتني في انجاز هذا العمل زميلتي "رانيا"، وكل من ساعدني من قريب أو بعيد.

مكي هندة

الإهـــــداء

الحمد لله الذي وفقني للإخراج هذا العمل إلى النور والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء سيدنا محمد عليه افضل الصلاة و السلام

في بادئ الامر أهدي هذا العمل إلى من جرع الكأس فارغا ليسقيني قطرة تفاءل وتشجيع

إلى من حصد الاشواك عن دربي ليمهد لي طريق العلم

إلى الشمعتان اللتان سهرا ليضيئا لي مسار النجاح.

إلى نبض قلبي أمي فيروز وإلى سندي العزيز أبي بوبكر

إلى زوجي أبوبكر ورفيق دربي ومن شاطرني لحظات النجاح والفشل الذي كان بقربي لحظات كتابتي هذه المذكرة .والى فلذة كبدي ابنتي زبيدة فروزان.

وإلى من شاركوني طفولتي وقاسموني حنان أمي وعطف أبي اخوتي الاعزاء أسيا وأمال وأية وحسام وجاسم وهيثم

كما أقدم محبتي إلى ابناء اختي كل من تولين ويزن حفضهما الله

كما أتقدم بالشكر إلى أب زوجي جابر وأمه العطرة اللذان ألحا على تكملتي مساري الجامعي لشهادة الماستر

وإلى كل زملاء الدراسة خصوصا صديقتي وأختي هندة مكي دون أن أنسى أساتذتي الكرام في كلية العلوم الانسانية قسم التاريخ متمنية لهم بالتوفيق والسداد .إلى كل من شاركني عناء هذا البحث من قريب أو بعيد

وفي الاخير نسأل الله خير الدعاء وخير النجاح

سوسى رانيا

قائمة المختصرات

تر : ترجمة

مر : مراجعة

د.ط : دون طبعة

د.ت: دون تاريخ

ج: الجزء

ط: الطبعة

ق.م : قبل الميلاد

م : ميلادي

كم : كيلومتر

مقدمة

مقدمة:

يطلق اسم الرومان على الشعب الّذي سكن الاراضي الايطاليّة، واتخذ من مدينة روما مركزا له لإنشاء احدى اكبر الامبراطوريات الّتي عرفتها البشريّة، وقد ظلت آثار الرومان باقية في الدول الّتي وقعت تحت سيطرتها إلى يومنا هذا، إلى جانب وجود العديد من بقايا الانظمة الاداريّة والسياسيّة الّتي عرفها الرومان واستلهمتها الدساتير الحديثة.

فلقد هاجر الرومان في الأساس من شرق اوروبا إلى وسطها، واستوطنوا سواحل الجزر الايطاليّة ومن ثمّ انتقلوا إلى الجزء القاري من ايطاليا واسسوا مدينة روما، ومع مرور الزمن استطاع الشعب الروماني تنظيم المؤسسات السياسية والعسكرية مستفيدين من التركة الثقافية الاغريقية في تلك البلاد، وبدأوا في التوسع تدريجيا حتى استطاعوا ضمّ شبه الجزيرة الايطاليّة بالكامل ومن بعدها سيطروا على معظم بلاد العالم القديم ليصبح الرومان من أوائل الشعوب الاستعماريّة في التاريخ.

تعود بداية تكوين الامبراطورية الرومانية لثورة الشعب الرومانيّ على نظام الحكم في عام 509 قبل الميلاد، ونظّموا السلطة السياسيّة بشكل جديد ليبدؤوا من ذلك التاريخ في التوسّع الجغرافيّ سياسيا واقتصاديا، بدءا من اخضاع القبائل والمدن الصغيرة في ايطاليا فيما عُرف بالجمهورية الرومانية الاولى، وفي مرحلة الجمهورية الثانية بدأوا في التوسع خارج الأراضي الايطاليّة، ليصطدموا بالقوة الكبرى في منطقة حوض البحر المتوسط في ذلك الوقت وهي دولة قرطاج.

وانتهت الحروب الرومانية القرطاجية بانتصار الرومان والاستيلاء على الأراضي الأوربيّة الساحليّة وصولا إلى اسبانيا ومنها إلى شمال إفريقيا، وبعد انتصارهم بدؤوا في التّوجه شرقا للاستيلاء على الأراضي اليونانية ليسقطوا الدولة المقدونية، وأتيح لهم بذلك السيطرة الكاملة على كل من أوروبا وشرق آسيا متضمّنا الشّام.

فقد احتلت الإمبراطورية الرومانية مكانة خاصة في التاريخ، اختلفت عن مكانة غيرها من الدول والإمبراطوريات الّتي قامت خلال عصور التاريخ، ولا ترجع أهمية هذه

الإمبراطورية إلى اتساع رقعتها الجغرافيّة الّتي اشتملت على مواطن اقدم الحضارات الّتي عرفها الإنسان، اذ ابتدأت في القرن الثالث قبل الميلاد واستمرت باقية إلى القرن الخامس الميلادي في الغرب الأوربي وإلى القرن السابع في الشرق، ولكن أهميتها ترجع أساسا إلى أنّها وقعت تاريخيا في نهاية العالم القديم.

وإنّه لمن البديهيّ أن تكون لحضارة الرومان مقوّمات أو دعامات أساسيّة كانت السر وراء التفوّق الحضاري في فترة من الزمان الغابر، تلك الفترة الّتي عادة ما يسميها المؤرخون بالتاريخ الرومانيّ الّذي ساهم في تكوينها عنصران رئيسيان وهما المكان (جغرافية ايطاليا كجزء من حوض البحر المتوسط) والانسان.

ورغم ذلك فقد تعرضت تلك الامبراطورية منذ القرن الثالث الميلادي لعوامل الضعف والتّفكك من داخلها وخارجها، ففي الداخل انتشر الفساد في جميع النواحي الاجتماعيّة والاقتصاديّة والعسكريّة، ولم تعد روما مركز العالم وحضارته، بعد أن أسس قسطنطين العظيم عاصمته القسطنطينية في أوائل القرن الرابع، ومن الخارج اشتدت غارات الجرمان والمتبربرين على حدود الامبراطورية، حتى اذا اتى عام 476 م زالت تلك الامبراطورية في الجزء الغربي منها، وقامت على انقاضها ممالك جرمانية عديدة.

ومن هذا المنطلق نطرح الاشكاليّة التاليّة:

ماهي الاسباب و الخلفيات المؤدية لسقوط روما؟

- **الإطار الزّماني والمكاني:**

حدود الدراسة خلال الفترة الممتدة من القرن الثالث ميلادي إلى غاية القرن الخامس ميلادي(476م) بشبه الجزيرة الإيطالية

❖ **أسباب اختيار الموضوع:** هناك اسباب عديدة دفعتنا لاختيار هذا الموضوع واهمّها:

- ميولنا الخاص لدراسة التاريخ القديم بصفة عامة.
- رغبتنا في التّطلع على التاريخ الرومانيّ القديم.
- رغبتنا في التّعرف على الاحداث واسرا رقوة وتفوق هذه الحضارة والاسباب الّتي ادّت لانحطاطها بعد عدة قرون.
- كما أنّ الانطلاقة الفعليّة لفهم أيّ حضارة يكمن في فهم سياستها والّتي ستنطبق على المجتمع الذي تحكمه قوانين.
- المساهمة في اثراء رصيد المكتبة الجامعية .
- بالإضافة إلى سخاء هذه الحضارة وفعاليتها وموروثها الحضاريّ الّذي جعل العديد من التساؤلات في ذهننا منها:

✓ كيف كانت اوضاع الامبراطورية قبيل سقوط روما في القرن الخامس عام 476 م ؟

✓ ماهي الاصلاحات الّتي قام بها بعض الاباطرة فأدّت لتعجيل سقوط روما ؟

✓ يا ترى ما الدوافع الّتي أدّت لانحطاط وانهيار روما العظمى ؟

✓ وما القبائل التي غزتها ؟

✓ ما النتائج المترتبة عن انهيار روما ؟

✓ ما رأي المؤرخون تجاه انحطاط هذه الامبراطورية العظمى ؟

❖ **المناهج المتبعة:**

المنهج الّذي سنسلكه في هذه الدراسة هو منهج مركب، نستعمل فيه المنهج التاريخي لرصد الأحداث التاريخيّة، والمنهج الوصفي في محل وصف مجرياتها والأحداث المحيطة بها إلى جانب التحليل للوقوف على حقيقة هذه الأحداث و دراستها دراسة موضوعيّة.

ومن أهم الصعوبات الّتي واجهتنا أثناء إنجازنا لهذا البحث هي صعوبة التنقل نظرا للظروف الراهنة، ولأن إنجاز البحوث العلمية ليس بالأمر الهيّن خاصة مع شرح المعلومات

فيصبح البحث شاقا ومتعبا في كثير من الأحيان ومن هنا فقد واجهتنا صعوبات شـــتّى فـــي جمع المادة العلمية وترتيبها وتنظيمها من حيث أهميتها وذلك بسبب عـــدم تـــوفر المصـــادر المكتوبة بحوزتنا، بالإضافة لوجود اختلاف في اسماء بعض الاباطرة من مرجع لآخر .

❖ **أهم المصادر والمراجع:**

وفي إطار دراستنا للموضوع إعتمدنا على جملة من المصادر والمراجع من اهمّها:

سيد أحمد علي الناصري: تاريخ الإمبراطورية الرومانية السياســيّ و الحضـــاريّ، و دور الددلي: حضارة روما، حسين الشيخ :دراسات في تاريخ الحضارات القديمة الرومان، أحمد غانم حافظ: الإمبراطورية الرومانية من النشأة إلى الإنهيار، يوسابيوس القيصـــري: حيـــاة قسطنطين العظيمة، و محمود محمد الحويري: رؤية في سقوط الإمبراطورية الرومانية.

❖ خطة البحث:

وللإجابة عن كل التساؤلات السابقة الذكر كان لابد من وضع خطة تترجم محتـــوى الموضوع وتلم به، إذ تضمنت مقدمة ومدخل تحدثنا فيه عن جغرافية الموقع وثلاثة فصول، فلقد تطرقنا في الفصل الأوّل إلى اوضاع الإمبراطورية خلال القرنين الثالث و الرابع، أمّـــا الفصل الثاني تحت عنوان أسباب ومجريات سقوط روما في القرن الخامس فقد تم التطرق فيه للأسباب الداخلية والأسباب الخارجية الّتي أدّت لسقوط روما عـــام 476 م، و بالنســـبة للفصل ا لثالث فقد تضمن أثر سقوط روما وآراء المؤرخين المختلفة حول انهيار وانحطـــاط روما، وخُتم البحث بخاتمة والّتي كانت عبارة عـــن مجموعـــة مـــن الإســـتنتاجات حـــول الموضوع، وهي كالتالي :

مقدمة .

مدخل: الجغرافيا الطبيعية والبشرية لروما.

الفصل الأوّل: أوضاع الامبراطورية الرومانية خلال القرنين الثالث والرابع .

المبحث الاول: الأوضاع العامة للإمبراطورية.

المبحث الثاني: إصلاحات دقلديانوس وقسطنطين.

الفصل الثاني : أسباب و مجريات سقوط روما في القرن الخامس .

المبحث الأول: الأسباب الداخليّة و الخارجيّة.

المبحث الثاني : المجريات و الأحداث .

الفصل الثاني : نتائج سقوط روما وآراء المؤرخين حول انهيارها .

المبحث الاول : انعكاسات سقوط روما .

المبحث الثاني: آراء المؤرخين حول اضمحلال روما .

خاتمة

قائمة المصادر والمراجع .

❖ وفي الأخير الشكر والحمد أوّلا وآخرا للّه سبحانه وتعالى الّذي أمدّنا بالقوة والعزيمة لإنجاز هذا العمل المتواضع .

❖ كما نتقدم بجزيل الشكر والتقدير إلى أستاذنا المشرف: الدكتور محمد رشدي جراية على كل ما قدّمه لنا من توجيهات ومعلومات قيّمة ساهمت في إثراء بحثنا ودعمه لنا وصبره الجميل فكل التقدير لك والإحترام .

❖ ولا ننسى كذلك تقديم الشكر الجزيل لكل أساتذة تخصص تاريخ الحضارات القديمة، ولا يفوتنا إلى أن نشكر الأساتذة أعضاء لجنة المناقشة الّذين سيتجشمون عناء قراءة هذا البحث ونقده ثمّ تقييمه.

مدخل:

الجغرافيّة الطبيعيّة والبشريّة لروما

لقد تحكمت روما في سياسات العالم القديم قرونا عديدة، وجعلت من المناطق المطلة على البحر المتوسط عالما واحدا بحضارة متماثلة إلى حد بعيد، وإن كان بين جزء وجزء إختلافات ضئيلة[1] الاّ أنّها كونت إمبراطورية ذات تفوق حضاري ومقومات ودعامات أساسية وكان السّر في ذلك طبيعتها ومكانتها الجغرافية[2].

وبلغت هذه الإمبراطورية أقصى إتساع لها عام 116فضمت كل من شمال إفريقيا وأنحاء أوروبا والشرق الأوسط فوصلت مساحتها 5ملايين كم² .[3]

إذ وصف أورسيوس موقع الحضارة الرومانية المتواجدة في إيطالية على شكل مستطيل حيث قال :(البلد الّذي يدعى إيطالية هو بلد مستطيل ما بين الشرق والقبلة وإلى ما بين الغرب والجوف)[4]فهي تمتد في عرض البحر الأبيض المتوسط الّذي يسميه أورسيوس– بحرنا[5]– فيحدّها من الّشمال دولتي النمساوسويسرا، ومن ناحية الشمال الغربي تحدها فرنسا ومن الشّمال الشرقي تحدها جمهوريتي كرواتيا وسلوفينيا، وبالنسبة للشرق فيحاصرها البحر التيراني ومنالجنوب البحر الأيوني أمّا البحر الأدرياتيكي فهو الّذي يرسم حدودها الشرقيّة.

فتعتبر شبه جزيرة إيطاليا الإطار الجغرافي الأول للحضارة الرومانية، وذلك لكون تلك الحضارة قد بزغ نورها من خلال مدينة روما الواقعة إلى الّشمال الشرقي من شبه الجزيرة الإيطالية، تلك المدينة الّتي إستطاع مواطنوها المعروفين باسم الرومان أن يحولوها من مصاف المدن إلى مصاف الدول، لتبسط بذلك هذه الدولة نفوذها على كل شبه جزيرة إيطاليا

[1] سامي سعيد الأحمد، تاريخ الرومان، د.ط، مكتبة المهتدين الإسلامية، بغداد، د.ت، ص3.

[2]محمود إبراهيم السعدني، حضارة الرومان منذ نشأتها وحتى نهاية القرن الأول الميلادي، ط1، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، مصر، 1998، ص35.

[3]Peter turclein. jonatbanadam. tbomas hall .east-west orientation of historical empires and modern states .journal of world .2006. p 222

[4]أورسيوس، تاريخ العالم، تر: عبد الرحمان بدوي، ط1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1982، ص66.

[5]إبراهيم رزق الله أيوب، التاريخ الروماني، ط1، الشركة العالمية للكتاب، لبنان، 1996، ص13.

والجزر المجاورة لها، ومن ثم على حوض البحر المتوسط بشقّيه الغربي والشرقي، ولتتحول هذه المدينة إلى نواة لحضارة متوسطية دامت لعدة قرون.

إن الملاحظ لخريطة شبه الجزيرة الإيطالية يجدها مماثلة لساق بشريّة قدمها في الجنوب الغربي وكعبها في الجنوب الشرقي، فهي بذلك تتوسط حوض البحر المتوسط منحدرة من الّشمال إلى الجنوب وكأنّها تقسمه لشقيّن حوض شرقي وآخر غربي، ولتمنح الدولة القائمة عليها موقعا إستراتيجيا فذّ مقارنة بالأمم الأخرى، ذلك الموقع الّذي وصفه بعض المؤرخين بالحربي والّذي مكنها من السيطرة على العالم القديم ويصل طول شبه الجزيرة الإيطالية حوالي 1150كم من الشمال إلى الجنوب[1].

وقد عرفت إيطاليا منذ القدم بأشهر سهولها وأكثرها إتساعا وهو سهل البو الواقع شمال شبه الجزيرة، والّذي تطوقه سلسلة جبال الألب وإستمد هذا السهل أهميته من نهر البو، والّذي يعتبر من أهم أنهار إيطاليا وأعظمها، أما بقية سهولها فهي تنتشر في الشرق والغرب على سواحل شبه الجزيرة.

غير أن الإختلاف بين الجهة الشرقية والجهة الغربية كان واضحا من خلال إختراق سلسلة جبال الأبنين لشبه الجزيرة من ال ّشمال إلى الجنوب، فهي بمثابة العمود الفقري لجسم الإنسان تحتمي بفضلها شواطىء البلاد الغربية من الرياح الشمالية الباردة، وتتبع منها أنهار تمنح الحياة لسهولها وترويها وتصب مياهها في نهاية المطاف في خلجان البحر ذات المناظر الساحرة[2].

أما مناخ شبه الجزيرة الإيطالية فكان متباينا بين الشمال والجنوب، أما الجهة الجنوبية فيسودها مناخ البحر الأبيض المتوسط حيث الجفاف وسطوع الشمس والحرارة صيفا، بينما

[1] عمر بوصبيع، شبه جزيرة إيطاليا: الدراسة الطبيعية، مقرر محاضرات سداسي الثالث لماستر (تاريخ الحضارات القديمة) ، جامعة الوادي، الوادي، 4-1-2021، ص2.

2 نفسه، ص3

تكثر الأمطار شتاء ولكن يغلب على هذا المناخ الإعتدال على وجه العموم، أمّا في الشّـمال فيسود المناخ الألبي حيث الثلوج والبرد الشديد شتاء.[1]

وبالنسبة للعنصر البشري فالمتفق عليه بصفة عامة أن أقدم السلالات هي من جـنس البحر المتوسط مثل الأيبيريين في اسبانيا، أما عن الغزاة فيبدو أن أقدمهم قـد جـاؤوا مـن البلقان حوالي عام 1000ق.م عبر بحر الأدرياتيكي بحيث قطنت جماعة مـنهم الأراضـي الواقعة حول رأس ذلك البحر، وإستقرت جماعة أخرى في سهل أبوليا الفسيح وجزء كبيـر من كالابريا وهذه الشعوب كانت تشتغل بتربية الحيوانات.

وكان السابيون يسكنون الشمال الشرقي وهم سلالة خشنة مكونة من رعاة وفلاحـين وقد أسسوا مقرهم على تل الكويرينال أحد تلال روما في نفس الوقت الّذي تأسست فيه القرية اللاّتينية على تل البلاتين، بالإضافة لشعوب الّتي إستقرت في الشمال ولا تزال تلـك الأرض تحمل اسمهم وتعرف هذه الشعوب في مجملها باسم الأمبريين وقد أدى اتصـالهم بشـعوب أترونيا الأكثر تحضرا إلى رفع مستوياتهم، [2] الحضارية، كما أدى إلى نمو المدن وازدهارها أما الأراضي المعروفة باسم أبروتزي فبقيت المجتمعات الرعوية البدائية ساكنة فيهـا أثنـاء الأزمة الرومانية.

وفيما يخص التلال الواقعة شرق إقليم كمبانيا فقد كان موطن السامنيتز الّذين أصبحوا فيما بعد أخطر أعداء روما أثناء الصراع من أجل السيادة على إيطاليا، [3] وهناك شعب يعود أصله إلى شعوب البلدان الشمالية وهو التيراماري حيث استولوا علـى وادي البـو وعلـى المنطقتين الوسطى والشرقية حوالي عام 1400ق. م وأقاموا قراهم على حافة البحيرات.

[1] المرجع السابق، ص 3-5.

[2] دوراللددلي، حضارة روما، د.ط، الإدارة العامة للثقافة بوزارة التعليم العالي، د.ت، ص 11-12.

[3] نفسه، ص13.

وبنوا منازلهم الخشبية على عمد مغروزة في الماء والوحل عرفت باسم مساكن الركائز، وكان هذا الشعب يعيش من زراعة الأرض ببعض أنواع الحبوب الغذائية وتربية الماشية واصطياد الحيوانات البريّة، واتقنوا الحياكة وصناعة الخزف، [1] كانت كل هذه الشعوب تتكلم لهجات متقاربة تماما انبثقت منها ثلاث لغات أصبحت هي السائدة: اللغة الامبرية، اللغة اللاتينية واللغة الاوسكانية، وهذه الأخيرة هي اللغة الرسمية لوسط وجنوب إيطاليا.

وكانت الشعوب الكلتية هي آخر الشعوب الّتي غزت إيطاليا وسواء أتوا من بلاد الغال أو من الدانوب، فقد عبروا جبال الألب إلى واد البو وطردوا الأتروسكيين من هذا المكان، ومن أرقى الحضارات في إيطاليا هي حضارة اليونان في جنوب إيطاليا وحضارة الأتروسكيين في وسطها[2].

إذن كانت شعوب إيطاليا قبل توسع النفوذ الروماني من أصل ينتمي إلى أجناس مختلفة يتكلمون لغات متباينة وتدور في فلك حضاري يجمع بين الحضارات المدنية الرائعة والمجتمعات القبلية نصف الترحالية.[3]

[1] إبراهيم رزق الله أيوب، التاريخ الروماني، ط.1، الشركة العالمية للكتاب، لبنان، 1996، ص18.

[2] دورالد ددلي، المرجع السابق، ص 13-14.

[3] المرجع نفسه، ص18.

الفصل الأول

أوضاع الإمبراطورية الرومانية

خلال القرنين 03 و 04 م

المبحث الأول: الأوضاع العامة للإمبراطورية.

1- الحياة السياسية و الاقتصادية :

تعرضت الإمبراطورية الرومانية إعتبارا من القرن الثالث لأزمات عنيفة هدّدت كيانها وقوضت بنيانها فهدّد الفساد شتّى نواحي الحياة اجتماعيّة واقتصاديّة وعسكريّة ودينيّة وإدارية[1] بحيث كانت روما في قمتها في القرن الثاني ولكن عيبا أساسيا كان كامنا في بناءها السياسيّ فلم يكن ثمة مبدأ محدد لطريقة ولاية العرش الامبراطوري، فقد كان اعتلاء العرش الامبراطوري في القرن الثاني يتم تعيين من قبل الامبراطور السابق إلاّ أن هذا النظام انهار في القرن الثالث، وهو ما أدّى إلى صراع مرير لعب فيه الجيش دورا كبيرا تسبب في الاضطراب وعدم الاستقرار، وكانت الفوضى هي النتيجة المتوقعة إذ أخذت كل فرقة من فرق الجيش تحاول إجلاس قائدها على عرش الإمبراطورية، [2]

فقد إعتبر عهد الامبراطور كومودوس ابن اوريليوس نهاية عصر الاستبداد المستنير وبداية مرحلة جديدة طفحت بسفك الدماء واشتداد البؤس، كانت الظاهرة الرئيسية في هذه المرحلة الجديدة التي امتدت إلى ما يزيد على مائة سنة ما صار للجيش من سلطة يتحكم بها في مصير الدولة كيفما شاء.

فالجيش الذي كان خادم الإمبراطورية أضحى سيدها، فصارت بيده السلطة عن طريق الأباطرة الذي يعينهم ويعزلهم حسب أهوائه، ومن غير سبب واضح ويكفي أن نعلم أنه في الفترة الواقعة بين سنتي 235-285 تولى العرش ستة وعشرون امبراطورا لقوا مصرعهم جميعا باستثناء امبراطورا واحد مات ميتة طبيعية[3]حيث أصابها ضعف وخمول انعكس على

1ماريتمان، باركلاف، الدولة والامبراطورية في العصور الوسطى، ترجوسيف نسيم يوسف، ط1، دار المعارف، مصر، 1966، ص31.

2Norman F.contor, Mediereal history the life and death of Acivilization, Mcmillon 1972,p40.

3 الباز العريني، تاريخ أوروبا في العصور الوسطىن دار النهضة العربية، د.ط، بيروت لبنان، ص11-12.

جميع أحوالها فتوقف التوسع واكتفت بالمحافظة على حدودها، ثم تدهور وضعف النظام في صفوف الجيش، خاصة بعد استعانة الأباطرة بالجنود المرتزقة، فأدخلوا البرابرة في صفوف الجيش وأضعفوا مجد الإمبراطورية الحربي.

كما طرأت تغييرات على منصب الامبراطور وصار للفرق العسكرية دور في تنصيب الأباطرة عقب ضعف السلطة المركزية وصارت الولايات تحكم بزعامات محلية فجاء عهد كومودوس عكس أبيه ماركوس أوريليوس تماما فهو غير قادر على تحمل المسؤولية طوال فترة حكمه 180-192 م متخبطا في قراراته السياسية ومغامراته العسكرية الفاشلة، وترك مكان الحكم ليتفرغ لنزواته.

كما إصطدم بمجلس السناتو و أعدم الكثيرين من أعضاءه، ولهذا فقد كرهه الجميع ولم يتعاطف معه إلا الحرس بسبب ما كان الامبراطور يدفعه لهذا الحرس الشخصي، وبهذا بدأت الفوضى تدب في الإمبراطورية داخليا وتدهور الاقتصاد وفرغت الخزانة الإمبراطورية وساد الرعب في أرجاء البلاد بإغتياله في سنة 192 وبموته تنتهي فترة الاستقرار وبدأت فترة صراع القادة العسكريين على العرش وتولى بيرتيناكس العرش بحيث كان أقدم أعضاء مجلس السناتو. لذلك وافق السناتو فورا على تعيينه امبراطورا إلا أن كبر سنه جعله ألعوبة من حوله من القادة وقاموا باغتياله بعد أقل من ثلاثة أشهر من توليه العرش ولم يكن برتيناكس قد عين خليفة له لذا سقطت الإمبراطورية في فوضى عامة، وبدأت الجيوش في ترشيح قادتها الأباطرة فتم ترشيح كل من جوليانوس وجايوس نيجر وكلاوديوس البينوسوسيتيموسسقيروس، إلا أن سقيروسسيتيموس حسم الأمر بأن دخل روما بجيشه وأعلن نفسه إمبراطورا، وعرف هذا العام بعام الأباطرة الأربعة[1].

1حسين الشيخ، دراسات في تاريخ الحضارات القديمة الرومان، ج2، د.ط، دار المعرفة الجامعية، مصر 2003م، ص69.

فهو من أصل إفريقي وكان واليا وقد كان سيتيموس صارما أشد الصرامة في إنتقامه من أنصار خصمه نيجر وألبينوس، وقد جمع لنفسه ثروة خاصة هائلة عن طريق مصادرة ضياعهم وبعد فترة إنقلب على مجلس الشيوخ فأعدم 29 من أعضاءه وصادر ممتلكاتهم وتهدف إصلاحاته العسكرية إلى تحسين حال الجندي وضمان مستقبله حتى أنه وهو على فراش الموت ترك وصيته السياسية إلى إبنيه في عبارة يمكن أن نشرحها كالآتي: " إتحدا معا وادفعا للجنود رواتبهم، ثم لا تهتما لشيء بعد ذلك"[1]. وفي سنة 211 بمدينة يورك البريطانية ترك شؤون الإمبراطورية الرومانية بعد وفاته إلى ابنيه كراكلا وجيتا ولم ينصب أيّا منهما على العرش بل حثهما على الاتحاد والعمل معا بروح واحدة، إلا أن الخلاف سرعان ما شبّ بينهما وما لبث أن تحول إلى صراع إنتهى بمقتل جيتا وإعتلاء كراكلا لعرش الإمبراطورية بفضل مساعدة الجند الذين أجزل لهم العطاء وكذلك استطاع أن يكسب ود مجلس الشيوخ والحرس الامبراطوري ومحاولته لتأمين الحدود الشرقية للدولة. كما منح لكل الاحرار من ساكني الإمبراطورية الجنسية الرومانية وأطلق المؤرخين فعله هذا بغرض أخذ الضرائب وضم أراضي جديدة منها مملكة أرمينيا فقام بالعديد من الحملات العسكرية في الشرق ولكنه قتل أثناء إحدى الحملات إثر خيانة من أحد قواته من أمر أحد حرس الامبراطور ماكرينوس الذي اعتلى عرش روما سنة 217 م ولكنه لم يستمر طويلا في الحكم، فقد فشل في كسب ثقة الجيش وهو ما عجّل سقوطه ونهايته على يد هاليوجابالوس حفيد كاراكلا الذي نجح في استرجاع العرش ودخل روما سنة 219م وتربّع عليه من 219 إلى 222 م.[2]

ولكنه لم يكن ذا حنكة سياسية او عسكرية واتسمت فترة حكمه بالهدوء النسبي، فلم يضع نصب عينيه الاهتمام بشؤون الجيش والإصلاح والنظام الإداري في الإمبراطورية بل

1 دورالد ددلي، حضارة روما، د.ط، الإدارة العامة للثقافة بوزارة التعليم العالي، د ت، ص 336.

[2] موسى، معمر زايد، إصلاحات الإمبراطورية سيتيموسسيفروس العسكرية وأثرها على منطقة المدن الطرابلسية خلال عهد الاسرة السيفيرية (192م–235م) مجلة جامعة الزيتونة، تونس، العدد30، يونيو 2019، ص 234.

كان مهتما بالأمور الدينية وإعادة تنظيمها وهو ما أدى إلى تذمر طبقات الشعب من تصرفاته[1] فثار عليه الجيش وإغتاله وتولى بدلا منه الكسندر سقيروس ابن عمه بالتبني وحكم من 222 إلى 235م إلا أنّه كان ضعيف وفشل في مواجهة الفرس والألمان واغتاله جنود جيشه لتقاعسه عن محاربيه الألمان وولوا بدلا منه قائدهم ماكسيمينوس من تراقيا العرش في 235م.

وهناك زادت حالة[2] الفوضى والتفكك والحروب الأهلية والإنهيار الاقتصادي في الإمبراطورية استمرت حوالي 50 عاما إلى حين ظهور دقليانوس[3] فقد أدى سوء أحوال الجيش إلى ما يسمى بالحركة الإنفصالية فقد وحدت جماعات متنافسة على الحكم من العسكريين إلى حروب داخلية وشملت الإمبراطورية ككل وهددت كيانها وحاول بعض الأباطرة بالفصل بين السلطة العسكرية والمدنية في أواخر القرن الثالث الميلادي في عهد دقليانوس لدى حكام الأقاليم وتصغير حجم الوحدات الإدارية. سوء الأوضاع كان نتيجة الحركة الانفصالية[4] فقد أدى إلى إختلال وأزمة اقتصادية واجتماعية عرفت "بأزمة نظام العبودية" إذ اعتمد الاقتصاد على عمل طبقة العبيد فأدى إلى تقهقر الإنتاج الزراعي والصناعي والشلل التجاري، وعانت مقاطعات الإمبراطورية الغربية من نتائج تلك الأزمة أكثر ما عانته المقاطعات الشرقية للإمبراطورية لأن عدد العبيد في الغرب أكثر من الشرق، فقد كان مردود عمل العبيد ضعيفا لأن العبد الذي يعمل تحت الضرب بالسوط مقابل قوت يومي لا يكاد يسد رمقه وليس له مصلحة في زيادة الإنتاج، لا بل سيحاول تخريبه وتعطيله

1 موسى، معمر زايد، المرجع السابق، ص235.

2Diana stah and alexander rubel, molilityrexarch on the black searegion, vol-vi mega publiching house, napoco, 2016 p 350.

3حسين الشيخ، المرجع السابق، ص70.

4عمرو عبد العزيز منير، تاريخ أوروبا في العصور الوسطى، د.ط، جامعة أم القرى، مملكة عربية مسعودية، 1434 هـ، ص32.

حين تغفل عنه اعين المراقبين كذلك تمرد العبيد مرارا ضد أسيادهم، واتخذت بعض التّمردات طابع الثورات الشعبية ضد السلطات الرومانية[1].

فقد زامن فتوحات الامبراطرية واتساع أملاكها في أيامها الأول تدفق الثروات الهائلة عليها، مما أدى لميل الطبقات العليا في المجتمع الروماني إلى التّرف والرفاهيّة والإسراف الشديد، والتّطلع إلى الكماليات وتكالب تلك الطبقات بصفة خاصة على معدني الذهب والفضة، اللذين ظهرا في صورة أدوات للزينة أو أوان، ولاريب أن إستغلال الذهب والفضة بهذه الوسيلة أدى إلى تجميدها واستبعادهما من سوق التداول.

وبقي الوضع على ذلك حتى بعد أن توقفت الفتوحات وأضحى لزاما على الامبراطوريّة أن تحافظ على حدودها ضد هجمات وإغارات القبائل الجرمانية خلال القرن الثالث في الوقت الذي قل فيه الذهب، ولم تحاول الحكومة البحث عن مصادر جديدة للمعادن الثمينة.

ومن الواضح أن الامبراطورية حملت فوق ما تطيق من نفقاتها الباهظة وألقت على كاهل الخزانة عبئا جسيما، فقصور الأباطرة الرائعة الضخمة الباذخة والحشد الهائل من موظفي القصور والخدم والحراس ونفقات الجيش وانتشار الرشوة والفساد، وقسوة الموظفين على أهالي الولايات التابعة للإمبراطورية وثقل الضرائب المفروضة واعداء الحروب الأهلية كل هذا يفسر أسباب المتاعب الاقتصادية التي كانت تعانيها الامبراطورية إبان القرن الثالث، فأصيبت التجارة بالأضرار وتوقفت مسيرتها. [2]

1 نعيم فرح، الحضارة الأوروبية في العصور الوسطى، ط2، منشورات جامعة دمشق، 1999م، سوريا ص 101-102.

[2] محمود محمد الجويري ، رؤية في سقوط الإمبراطورية الرومانية، الطبعة الثالثة، دار المعارف، 1995، ص 14

لم تعد طرق البحر المتوسط العظيمة تموج بالأساطيل التجاريّة الرومانيّة بعد ما أصبحت وكرا يعج بقراصنة البحار، والطرق الرومانية البريّة الّتي كانت دائما دليل على عظمة الرومان، وإعجازهم الهندسي، أضحت أطلالا غير آمنة، لا تخلو من قطاع الطرق[1].

لقد نتج عن استمرار الانهيار الاقتصادي حدوث آثار سلبية على قيمة العملة النقدية المتداولة في ولايات الامبراطورية، فإن الغزوات التي تعرضت لها الامبراطورية في القرن الثالث والتي نتج عنها نهب المزارع وإحراقها، إفساد المحاصيل وترك مساحات هائلة من الاراضي الزراعية خرابا، والحاجة الماسة إلى المال لدفع رواتب الجند أجبرت الأباطرة على إنقاص قيمة العملة المتداولة فكان نصيب الدينار الفضي denarius في التّدهور المستمر أكثر من الأوريوس الذهبيaureus وغيره من العملات النقدية الأخرى.

ويلاحظ أن قيمة العملات الفضية أخذت في الهبوط المستمر منذ عهد الامبراطورية ماركوس أوريليوس (161 – 170 م) الّذي أنقص الدينار إلى خمسة وسبعين في المائة من الوحدات الفضية وواصل انخفاض قيمة الدينار حتى صار في عهد جالينوس (260 – 268م) عملة نحاسية مغطاة بطبقة رقيقة من الفضة بلغت خمسة في المائة من الوحدات الفضية.[2]

كان الستريوسالبرونزيsesterius (وقيمته ربع دينار) كان يصدر حتى سنة 270 م ثم اختفي من التداول بسبب الارتفاع الكبير في الأسعار، فإن إنقاص العملة وما صاحبها من ارتفاع كبير في الأسعار أديا إلى التضخمinflation ، هذا من ناحية ومن ناحية أخرى رفض من يمتلك عملة فضية خالصة التعامل مع العملات المخلوطة الشائبة، فأدى ذلك إلى إختفاء المعادن الثمينة من التداول، في وقت كانت الحاجة أشد ما تكون إليها وقد أدت تلك الأحوال السيئة لتدهور العملة النقدية.

1 نفسه، ص 14.

2 المرجع نفسه، ص. ص 15 – 16.

أضربت الأسواق التجارية ورفع التجار أسعار سلعهم. وتعتبر مزاولة التجارة في مثل ذلك المناخ أمرا متعذر، فبعد ما كانت قائمة على قدم وساق في ولايات الامبراطورية لا تقف في طريقها أية صعوبات أو حواجز وصلت إلى درجة بالغة السوء فاختفى الانتاج الكبير وحل محله الانتاج المحلي الذي يتم تصريفه محليا، وفي غياب عملة مستقرة حلت المقايضة في المعاملات التجارية بين الاهالي وهذه الطريقة لا تؤدي للغرض المنشود ويمكن القول بأن ما عرفته الإمبراطورية من ازدهار تجاري في القرن الثاني، لم يعد بإمكانها استعادته في معظم أنحاء الغرب الأوربي[1].

وهنالك استثناء وحيد نلمسه في الأقاليم البعيدة مثل بريطانيا التي وصلت تجارتها إلى مرحلة عالية من التطور في القرنين الثالث والرابع.[2]لقد انعكس التدهور الاقتصادي على الزارعة وكما اصبحت حدود الامبراطورية في القرن الثالث مناطق تنازع وفوضى فانتشرت فيها المعسكرات الرومانية والقلاع والحصون، وصارت تعجّ بالقوات المحاربة وهذا كله عاد على الزراعة بأوخم العواقب، فحط بها التلف والخراب واصاب الجفاف العديد من مساحات الزراعة، ووصل التدمير بالمزارع ومبانيها ومخازنها، حتى صارمن الصعب استصلاح ما تخرب منها والبدء من جديد، لقلة المال وارتفاع التكاليف خاصة محصول القمح.

ومن الواضح أنه لم يعد لإسبانيا فائض من محاصيلها ترسله إلى روما منذ منتصف القرن الثالث وصارت أرض مصر بورا، ولذلك اضطر الإمبراطور أوريليان Aurelien (270-275م) وخلفاؤه إلى إصدار قرارات الهدف منها تأمين مزارعين للحقول المهملة كما أدت قلة المحاصيل الزراعية إلى استحالة مواجهة الضرائب الفادحة، الّتي وقع كاهلها على

1 نفسه، ص17

2 المرجع السابق، ص17.

صغار المزارعين والمستأجرين، في الوقت الذي كان فيه كبار الملاك الزراعيين لا يلتزمون بدفع ما يستحق عليهم من ضرائب.

وعندما عجز المزارع الصغير عن تسديد ديونه في موعدها اضطر إلى رهن أرضه لكبار الملاك الزراعيين وتحول إلى قن أو اتجه إلى المدن لإنغماس في زحمتها، وهناك بردية يرجع تاريخها إلى بداية القرن الثالث وبالتحديد عام 202 م توضح حالة الزراعة في ولاية مصر الرومانية، ففيها يطلب أحد أغنياء مدينة الاسكندرية من الامبراطور أن يسمح له بإنشاء صندوق خيري الإعانة المكلفين بالخدمات الإلزامية في بعض القرى بإقليم أكسورونخوس (البهنسا)، لأن هذه القرى حسب قوله مهدّدة بالخراب مما يسبب الضرر على الخزانة ويؤدي إلى ترك أراضيه غير مزروعة.[1]

لم يعد الحرفيون أسعد حالا من المزارعين والتّجار، إذا أصاب الصناعات ما أصاب الزراعة والتجارة من خراب وكساد، حيث أن بلاد الغال وأراضي الراين فقدت الكثير من صناعاتها، واندثرت صناعة الزجاج في كولون، وصناعة الفخار في الأجزاء الغربيّة من الامبراطورية مما أوقع البلاد بحالة من الفوضى والاضطراب.[2]

منذ القرن الثالث الميلادي بدأت المدن بالانهيار وأخذ الريف ينفصل عن المدينة لأن بعض القرى أخذت تنشئ صناعات ريفية تكاد تكون كافية لسد الحاجات المحلية، فتضاءلت بنتيجة ذلك حاجة الرّيف إلى مصنوعات المدن، بعد أن كانت المدن أكبر المراكز الأساسية لتموين الريف والمناطق المجاورة بالمنتوجات الصناعية، وإذ أدى إفتقار الفلاحين وتحول

1 نفسه، ص17.

2 المرجع السابق، ص18.

معظمهم إلى عبيد وكولون إلى إنحطاط في نوعية المصنوعات الضرورية لهـذه الطبقـات الفقيرة، حتى ولو كانت مصنوعة في المدن.[1]

أمّا فيما الصناعة فقد اهتم الرومان بصناعة السفن وهذا بعد سيطرتهم على المنـاطق المحاذية لحوض البحر المتوسط، حيث شهدت هذه الصناعة أنواعا عديدة من السفن حسـب احتياجاتهم الضرورية لها في المجال التجاري والاقتصادي.

وقد ظهر تفاوتا في طول وحجم هذه السفن وذلك حسب نوعهـا فالسـفن التجاريـة الصغيرة petitscaboteuri فقد يصل طولها إلى حوالي خمسه عشر متـرا وقـادرة علـى حمولة تناهز العشرين طنا من السلع والبضائع، أمّا السرعة البحرية للسـفن فهـي حسـب السفينة الشراعية قد تقطع المسافة البحرية من مرفأ (أوستيا) إلى (كركوان) – تونس في ستة أيام بسرعة بحرية تقدر بتسعة عقد بحرية وقد تفنن صناع السفن في تصـميمها وهندسـتها، ومن أنواع السفن الرومانيّة مايلي :

* سفن لنقل الأشخاص.

* سفن هيباقو (Hippago) مخصصة لنقل الأشخاص والحيوانات كالخيل والفيلة.

* سفن شراعية كبيرة البونتو (ponto) مخصصة للتجارة.

*سفن مخصصة لنقل الجرار (chalaud– navisonerania) .

*سفن قوية لنقل الحجارة الرخام Lapidarianavis .

*سفن ثقيلة وعريضة لنقل الحبوب فقط.[2]

1نعيم فرح، الحضارة الأوروبية في العصور الوسطى، الطبعة الثانية، منشورات جامعة دمشق، 1999، سوريا، ص101–102.

2أ.ناير مختار :<< الرومان والإبحار في الحوض الجنوبي للبحر الأبيض المتوسط >>، عصور، العـدد 37، أكتـوبر – ديسمبر 2017، ص 43، 44،

مارس الرومان التجارة البحرية بمختلف أنواعها كتجارة القمح والزيت فضلا عن تجارة الخمر أو النبيذ وتجارة العبيد كأبرز النماذج التجارية المعروفة لدى الرومان.[1]

2- الحياة الدينية :

قبل الحديث عن أزمة الدين بداية من القرن الثالث وفي وسط تلك الأزمات الطاحنة[2]لا بد من التذكير بالوضع الذي ساد أنذاك الإمبراطورية الرومانية من عبادات وثنية مختلفة منها ما هي شرقية الّتي إنتشرت في أنحاء الإمبراطورية مثل متراس mitlra وسيبل cyble وإزيسو أوزوريس[3] الّتي لم تحقق لهم إلا القليل من الراحة والطمأنينة كما إعتمدت أيضا على عبادة الإمبراطور كديانة رسمية منذ أوغسطس الّذي أضفى عليه صفات شبه مقدسة وخارقة بعد وفاته[4] حيث كان المتعبد يدعو الآلهة إلى صون الدولة وإطالة عمر الإمبراطور أو إلى أن تمن عليها بالثّروات والمحاصيل الوافرة.

وإذا لم تف الآلهة بإلتزاماتها فالويل لها إذ تحرم من المذابح وتمسح صورها وتقذف معابدها بالحجارة فالوثني في الإمبراطورية الرومانية لم تكن لديه ألهه دائمة فإن الأباطرة كانوا يدعون الألوهية وتحقيق مصالحهم بها وهذا ما تؤكده الكثير من الروايات المروية على لسان الأباطرة فمثلاً كان الإمبراطور ماركوس أوريليوس يقدم النصح بقوله " أدعوا الآلهة دومًا إلى ما عونتكم "وهذا يدل على دور الدين في الإبقاء على عروش الأباطرة، وإضفاء المشروعية على تصرفاتهم وهو ما جعل هؤلاء أكثر حرصًا على وجود الدين في صفوف الرعايا ومن هنا جاء تقديس وفرض دين الدولة (الإمبراطورية) ووفاؤه بالغرض المنشود منه.

---

1 أ.ناير مختار: المرجع السابق، ص51.

2 Vryonissperos.Byzahtium and europe, london,1967,p12-13.

3 حسين محمود ربيع: دراسات في تاريخ الدولة البيزنطية، دار النهضة العربية، د.ط، القاهرة، 1973، ص17.

4 إبراهيم خميس إبراهيم وآخرون: معالم التاريخ البيزنطي (السياسي والحضاري)، دار المعرفة الجامعية، د.ط، مصر، 2003، ص16.

إذ كان بوسع الجمع ومن واجبهم أن يأخذوا بنصيب من الطقوس التي تقام في أيام الأعياد الكبرى فلم يكن هناك محك للدّين القويم على إتباع نواميس معروفة أو تلاوة قوانين للإيمان، بحيث كان واجب المواطن الروماني وعمله الدال على صدق إيمانه أن ينظم إلى المواكب في أبهى حلته ويشترك في الذبائح والقرابين وإطلاق البخور إذا التلاقي الحاد بين الأديان الوثنية والأباطرة يكون له تأثير كبير على العلاقة بين المسيحية والإمبراطورية فيما بعد وربما هو ما يفسر التضييقات الواسعة التي عرفها المسيحيون خلال القرون الثلاثة الأولى لانبعاثات المسيحية[1].

وفي ظل الفراغ الروحي الّذي عانى منه الناس بعد خذلانهم من قبل الأباطرة بدأوا في البحث عن ديانة جديدة تضمن لهم الخلاص الفردي، فاليهودية كان أتبعها نادرًا ما يقومون بنشاط تبشيري كما أنها كانت ما تزال غير واضحة في مفهوم الحياة الأخرى كما أن الفلسفات وخاصة الأفلاطونية صعب على الغالبية قبولها حيث طالبت أتباعها بالبحث عن إله بنفسه كما أن عبارة " مثرا " لم تسمح للنساء بالمشاركة في العبادة وهكذا كان الناس بحاجة إلى ديانة عالمية تدعوا لعبادة إله واحد وهو ما جاءت به المسيحية.

والوضع تغيّر حتمًا مع دين سماويّ يرفض عبادة الأوثان (وهنا سيدخل في صراع مجتمعي) فضلاً عن أنه قائم على مركزية أساسية تتمثل في تحريم عبادة البشر والحجر في مقابل عبادة إله غير مرئي، ولأنّ المسيحية[2] إعتبرها البعض هي وحدها تشبّع للصفات الرمزيّة جميعًا وتشبع التصوف تبشر بفلسفة الاخرة حافلة بالرجاء فهي غنية برموزها ولها شعائر سامية شريفة فضلا عن ذلك فهي تروق لطبقات الدنيا بوجه خاص تعلم الناس بأنّه عند الله يكون العبد الرقيق صنوا للإمبراطور وتأمر بالمحبة والأخوة والزمالة بين الناس ولم

1 عبد الرحيم العلام: سياقات تشكل المجال السياسي الديني في بدايات الفترة الوسيطية، د.ط، 2019، ص8.

2إبراهيم خميس ابراهيم، المرجع السابق، ص16.

تسبقها ديانة أخرى إلى وضع الصدقات موضع التنفيذ العملي إلى هذا الحد فكانت الكنيسة المسيحية منظّمة تنظيما يدعو إلى الإعجاب.[1]

وهذا الإعجاب من قبل بعض الرعايا جعل من الإمبراطورية الرومانية في حالة من التّصدع ومن جهة أخرى نجد إضطراب في أحوال الديانة المسيحية بعد أن هاجرت من مولدها فلسطين نحو الكثير من الولايات الرومانية المنتشرة في حوض المتوسط وإتخذت عدة إرهاصات لتغيير موقفها ضد الإمبراطورية الرومانية المضطهدة.

فرفض الرعايا المسيحيين الخدمة العسكرية في الجيش الروماني وممارسة عقيدتهم بشكل سري وإتخاذ يوم الأحد بدلا من السبت عطلة دينية لممارسة شعائرها كما إعتقدت السلطة الرسمية الرومانية أنّها أمام مشكلة إجتماعية كبرى تفوق أسس المجتمع الروماني وكذلك رفض عبادة الإمبراطور وتقديسه الأمر الذي لم يكن يغفره الأباطرة وتكاد الوثائق البردية المتعلقة بالمسيحية والمسيحيون الأوائل في القرنين الأوليين الميلاديين تتصف بالندرة وذلك لأنّ المسيحيين [2]الأوائل كانوا يعتنقون دينهم بشكل سريّ حتّى لا يتعرضوا للمضايقات من قبل السلطة الرومانية وهذه الصورة الدالة على العلاقة السيئة بين الدين والدولة تكاد تتغير وتنعكس تماما مع الإمبراطور قسطنطين الأوّل في أواخر القرن الثالث وبداية القرن الرابع وإعترافه بالمسيحية كدين للإمبراطورية الرومانية[3].

المبحث الثاني: إصلاحات دقليانوس وقسطنطين

1_ إصلاحات دقليانوس:

في وسط الفوضى الشاملة والحروب الأهلية التي عمّت الامبراطوريّة ظهر جندي دلماشي من أصل متواضع وإسمه دقليانوس diocletion (284-305م) ولد دقليانوس

1 عبد الرحيم العلام، المرجع السابق، ص08

2 ستيفن رنسيمان: الحضارة البيزنطية، الطبعة الثانية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1998، ص12.

3عبد الرحيم العلام، المرجع السابق، ص9-11.

بالقرب من مدينة سالونا salona في إقليم دالماشيا عام 248 وقد اطلق اسمه علـــى مدينـــة صغيرة تقع في هذا الإقليم، حيث كان مسقط رأس أمه وكان والداه عبدين في بيت أنولينوس أحد أعضاء مجلس السناتو، وعلى ما يبدو أن والده حصل على حرية الأسرة.

ظفر دقليانوس على وظيفة كاتب، وهي من الوظائف التي يمكن أن يشـــغلها أمثـــال دقليانوس، وبفضل جهوده ونبوغه وصل إلى مرتبة القنصل، ثم تولى وظيفـــة قائـــد حـــرس القصر الامبراطوري، وهي من الوظائف الخطيرة وتجلت كفاءته العسكرية في حرب

فارس، وبعد موت نومريانوس[1] أعترف به بأنه أجدر شخص بعرش الإمبراطورية.[2]

وهكذا إعتلى دقليانوس العرش سنة 284م وهي على وشك الانهيار وينسب إليه قيام عمليـــة الترميم وتأخير اضمحلال الإمبراطورية الرومانية رغم محاول الاباطرة الّذين سبقوه أمثـــال الامبراطور أوليانوس والملقب في الوثائق المعاصرة باسم مجدد الإمبراطوريـــة والابـــاطرة الآخرون اكتفوا ببعض الإصلاحات الجزئية إلاّ أنّ منهم من ارتكب خطأ أثّـــر علـــى حيـــاة الإمبراطوريّة وهو السماح للآلاف من الجرمان المرابطين على حدود الإمبراطوريّة بالدخول والإقامة فيها بهدف توفير اليد العاملة وإتّقاء لشر هذه العناصر مـــن جهـــة أخـــرى، فقـــد إنفرددقليانوس عن غيره من الأباطرة بأهداف كبرى تحقّقت بجهوده وهي كالآتي:

في المجال الإداري:

ظهور العديد من العواصم في أجزاء مختلفة منها نيقوميديا وهو المقر الرئيسي لإقامة دقليانوس ومنها سيرديكا (صوفيا) ومنها سيسالونيكا المقر الرئيسي لعرش جاليوريوس ومنها

1نومريانوس، امبراطور روماني ابن الملك قاروس القيصر، تولى الحكم قبل دقليانوس سنة 339م وقتل في عين هذه السنة كان فصيح المنطق بليغ المقال خطيب عصره إلا أنه لم يفلح في السياسة.

– رافع الطنطاوي: تاريخ مصر والعرب قبل الاسلام، د.ط، ج3، مكتبة الاسرة، مصر، 2010، ص494.

2محمد سعيد عمران: حضارة الامبراطورية البيزنطية، د.ط، دار المعرفة الجامعية، بيروت، 2011، ص19.

سيرميوم في بانونيامقر عرش لكينيوس ومنها ترير في ألمانيا والتي كانت مقر إقامة قسطنطينيوس والد قسطنطين وهناك عواصم أخرى أيضا.

* قضى على التفرقة بين ولايات الإمبراطورية وولايات السيناتو.

* اتخذ من نيقوميديا في الشمال الغربي من آسيا الصغرى على بحر مرمرة عاصمة جديدة للأمبراطورية[1] ويعود إختياره هذا إلى مجموعة من العوامل منها:

تزايد الأخطار الّتي كانت تحيط بروما لذا فقد أصبح دقليانوس تحت تهديد دائم قد يؤدي إلى الزعزعة وعدم استقرار مركز الامبراطور وعرشه.

– تزايد الأخطار من الجهة الشرقية التي تأتي من مصدرين (الفرس والجرمان) القوط الشرقيون والغربيون وغيرهم والتي حتمت على الامبراطور أن يجعل مركزه قريبا من هذه المصادر ليتمكن من الدفاع عنها بشكل فعال.

* إنتشار المسيحية بشكل متسارع وخاصة في جزئها الشرقي دفع الامبراطور لمحاولة القضاء عليها في منطقة انتشارها في آسيا الصغرى.

ويمكن أن نضيف عامل آخر قد لا يكون منظور كافي وهو أن الجزء الشرقي كان ذات بيئة علمية وثقافية مزدهرة فكانت مركز للثقافة والعلم اليوناني بدلا من جعل تلك المنطقة ذات جهل وتفكك اجتماعي واقتصادي ولم تعد روما تفي بمطالب العصر.[2]

ونضيف أيضا إلى إصلاحات دقليانوس أنّه أدرك الخطر الناجم عن تضاعف عدد الولايات الرومانية لما ترتب عليه من ظهور قيادات انفصالية ففكر في ربط الولايات الرومانية ببعضها[3]، فقسم الإمبراطورية إلى أربعة أقاليم أو أقسام إدارية كبرى على رأس كل قسم

[1] أحمد غانم حافظ، الامبراطورية الرومانية من النشأة إلى الانهيار، د.ط، دار المعرفة جامعة، مصر، 2007، ص84.

[2] علي عكاشة وآخرون، اليونان والرومان، ط1، دار الامل للنشر، الاردن، 1991، ص 206.

3 نفسه، ص207.

منها حاكم إداري عام يتمتع إمّا بلقب "أوغسطس" أو بلقب "قيصر" أمّا عن هذه الأقسام الكبرى فكانت غالبا وتشمل (بريطانيا وغالا اسبانيا والجزء المعروف حاليا باسم مراكش)، وإيطاليا وتشمل (الأراضي الواقعة بين الدانوب والبحر الادرياني فضلا عن إيطاليا والبلاد المعروفة حاليا بأسماء الجزائر وتونس وطرابلس) واليريا وتشمل (داشيا ومقدونيا وبلاد اليونان) ثمّ أخيرا إقليم الشرق ويشمل بقية الإمبراطورية أي تراقيا وآسيا الصغرى والشّام ومصر.

وقد احتفظ دقليانوس لنفسه بالقسم الأخير ومركزه نيقوميديا وبعبارة أخرى ليس معنى تقسيم السلطة الإمبراطورية انقسمت إذ ظلت تمثل وحدة امبراطورية في عهد دقليانوس وأنّ بيده السلطات والسلطة العليا والإشراف العام على جميع الشؤون كما كان القائد الأعلى للجيش، [1] كما قسم تلك الأقاليم الكبرى إلى سبع عشر وحدة أصغر وقد شملت كل وحدة عدد من الولايات بلغ عددها المئة ولكل ولاية لها 3 إدارات هامة وهي:

* إدارة الإشراف على العدالة.

* إدارة الإشراف على الشؤون المالية.

* إدارة الإشراف على أملاك الاباطرة الخاصة.

وكل حكام الولايات مسؤولون أمام أعلاهم.[2]

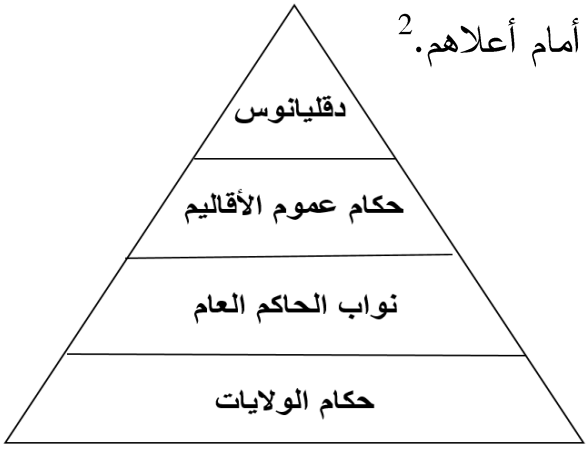

1 سعيد عبد الفتاح عاشور، تاريخ أوروبا في العصور الوسطى، د.ط، دار النهضة العربية، بيروت، 1976، ص 20.
2 أحمد غانم حافظ، المرجع السابق، ص86

أمّا الجيش فإعتبره الأداة الجديدة بالدفاع عن الامبراطورية وحدودها ضد أعدائها وكان ذلك واضح من خلال حرصه على التمسك بفكرة خطوط الدفاع على الحدود، فبنى العديد من القلاع والتحصينات والمواقع الدفاعية المنيعة، وكانت تشتمل الفرق العسكرية أنذاك على أعداد من الجرمان في أوربا والبربر في إفريقيا والعرب في سوريا، إلا أن الغالبية العظمى تألفت من المواطنين الرومان المتمتعين بحقوق المواطنة الرومانية كاملة ولحرصه على صد الأخطار الخارجية أصدر أمر بجعل الخدمة في الجيش إلزامية.[1]

أمّا عن الإصلاحات في الجيش فقد إعتمد دقليانوس على الجند من أصل شعوب الإمبراطورية تخلفا في الميدان الحضاري وخاصة الجرمان فبقدر ما قل نصيب الجندي من الحضارة بقدر ما إزدادت أهميته ومكانته وجعل مركزهم أقرب للعواصم كبار الحكام الأربعة.

وباستطاعة أيّ جنديّ الإرتقاء ويصبح ضابط ثمّ يتدرج حتّى يصل إلى مرتبة القائد الأعلى للجيش، مقابل طلب مؤهلاته وهو أن يكون شجاعا خبيرا بفنه مخلصا للإمبراطور وتشير الوثائق على إزدياد عدد أفراد الجيش في عهد دقليانوس.[2]

كما جعل الخدمة في الجيش إلزامية وجعل قوة عسكرية حربية متنقلة تتحرك في أيّ وقت وفي أيّ جهة وقد ساهم في صدّ البرابرة على إمتداد جهتي الراين والدانوب وفي سنة 297 تمكن من مهاجمة الفرس واسترد منهم بلاد ما بين النهرين فامتدت الإمبراطورية شرقا حتىّ نهر دجلة.[3]

1 الدكتور محمود محمد الحويري : رؤية في سقوط الامبراطورية الرومانية، الطبعة الثالثة، دار المعارف، القاهرة، 1952، ص 37.

2عبد الفتاح عاشور، المرجع السابق، ص22.

3 أحمد غانم حافظ، المرجع السابق، ص89.

سمح دقليديانوس لأول مره لأبناء الجنود والمحاربين القدماء والمتطوعين بـــالإنخراط في سلك الجيش، كما قام بإدخال بعض الاصلاحات على الجيش فأعاد تنظيمه علـــى أســـس جديدة وذلك بتقسيمه إلى فرعين: أحدهما للقيام بواجبه في حراسة حدود الإمبراطورية عنـــد نقاط معينة، ويتكون هذا الفرع من جند وراثيين يتناولون أجورهم أرضـــا وســـموهم بقـــوة الحدود Limitanei، أما الفرع الآخر فهو بمثابة جيش مركزي احتياطي سريع الحركة هـــو جيش المعية أو الردفاءcomitatenses (الردفاءهم هيئة النبلاء المحاربين الملحقين بشخص الإمبراطور) تحت قيادة الامبراطور، أمّا الحرس البرايتوري (الامبراطوري) الّـــذي كـــان يلعب دورا هاما في تنصيب وخلع الأباطرة فقد ذهب دون رجعة[1]

وفي السنة الحادية والعشرين من حكم الامبراطور دقلديانوس طبق قراره المشـــهور في إعتزال الامبراطورية وبهذا القرار كان قد قدم للعالم أول مثال في الاعتزال لم يـــراوده هذا التفكير إلاّ بعد قهر كل أعدائه وإنجاز كل مشروعاته.[2]

ولإصلاح نظام العملة المتدهورة استحدث بإدخال عملة فضية جديدة تساوي الدينار القديم.

وفي سنة 301 أصدر بيان بأسعار الحد الأعلى لكل أنواع البضائع وأجور كافة أنواع العمل والعمال ووضع عقوبة الموت لمن يخالفها.

كما عمل على جعل الضريبة ثابتة تقدر سنويا دون أن تلغى أي ضريبة قديمـــة ولـــم يحاول تقدير الضرائب على أساس قدرة دافع الضريبة، فمثلا ملاك الأراضـــي المـــزارعين فرض عليهم ضريبة متساوية بغض النظر عن موقعها ونوعها ومحصولاتها، فالغابـــة هـــي

1 محمود محمد الحويري، المرجع السابق، ص38.

2إدوارد جيبون: إضمحلال الامبراطورية الرومانية وسقوطها، ترجمة محمد علي ابو درة، الجزء الاول، الطبعة الثانيـــة، 1997، ص217.

الحصول على أكبر كمية من المال بأسهل الطرق وصارت الضرائب تشمل الأرض ومن عليها.[1]

كان من أكبر المشاكل في عهد دقليانوس هو عدم تقبله وتعسّفه للمسيحيّة والدّليل على ذلك إصدار لمرسوم سنة 303م حرم بموجبه إقامة الطقوس الدينية المسيحية على أراضي الإمبراطورية وأمر بهدم كل كنائس المسيحية ومصادرة أملاك المسيحيين وطالب الموظفون بتسليمهم الكتب المقدسة وأحرقوها وطرد من الجيش كل جندي مشتبه به كمسيحي وتذكر الروايات بالرغم من أن زوجته مسيحية إلا أن كل ذلك القمع والوحشية أثارت تعاطف الرومان العاديين الذين يعانون من تعسف الجهاز الإداري والضرائب مع المسيحيين.

وفي عام 305م اعتزل دقليانوس الحكم وعمره تسعة وخمسين عاما بعد أن أصيب بعلل الشيخوخة المبكرة، وقضى دقليانوس أعوامه التسعة الأخيرة من عمره معتكفا عن الحياة العامة.[2]

2_ إصلاحات قسطنطين:

ولد قسطنطين في مدينة نيش في إقليم داكيا سنة 280م من أب إسمه قسطنطينيوس كلورس والأم هيلينيا إلا أنه ولد غير شرعي لقسطنطينيوس احتفظ منذ طفولته حتى أواخر أيامه بقوة وصحة وضبط النفس وعندما بلغ الثامنة عشر إرتقى والده إلى منصب قيصر إلاّ أن إبنه لم يلتحق بوالده عندما ذهب لتولي منصب في بريطانيا وفضّل البقاء في خدمة الامبراطور دقليانوس.

اشترك قسطنطين في حرب الامبراطور ضد مصر وبلاد فارس وترقى أخيرا إلى منصب القائد العام في الجيش، ولصفاته واخلاصه وحبه لجنده قدم خدمته إلى الترشح

1 سامي سعيد الأحمد: تاريخ الرومان، دون طبعة، دار المهتدين، بغداد، ص237.

2 سفينسيكيا: المسيحيون الأوائل والامبراطورية الرومانية، ترجمة: د.حسان مخائيل اسحق، الطبعة الثانية، دار علاء الدين، 2007، ص264.

لمنصب قيصر، وعندما تنازل دقليانوس عن العرش سنة 305م رفع جاليروس[1] إلى منصب الامبراطور حسب النظام الرباعي إلا أن جاليروس كان يبغض قسطنطين، ويكن له الكراهية لذلك بدأ العداء بينهما مما إضطر قسطنطين إلى مغادرة مكانه والتحق بوالده في بريطانيا.[2]

عند موت قسطنطنيوسكلوروس والد قسطنطين سنة 306م في يوروك، نودي بـــالابن "أوغسطس" فقد كانت استراتيجية قسطنطين وخططه الدقيقـــة البارعـــة هـــي الخـــيط الأول الرئيسي في كل الحروب والمناورات السياسية فقد تولى هو إدارة الغال بينما أقام مكسنتيوس ابن مكسيميان (شريك دقليانوس في الحكم الرباعي) حكما طاغيا غاشما في إيطاليا وافريقية[3] وقد عزم على محاربة قسطنطين وقد علم قسطنطين بمقاصده فجهز عسكره إلى إيطاليا سنة 312م وفي معركة وقعت على جسر ميلفيانmilivian قرب رومية هزم عسكر مكســـنتيوس فسقط الجسر بالهزيمة ووقع مكسنتيوس في نهر التيبر وغرق.[4]

كما يقال أن خلال ذهابه لهزيمة مكسنتيوس عند جسر مليفيان مـــع جيشـــه حـــوالي الظهيرة رأى بعينه صليبا من نور في السّماء فوق الشّمس، يحمل هذه العبارة "أغلب بهـــذا" أمام هذه الرؤيا ذهل هو نفسه وكذا كل جيشه الذي رافقه في هذه الحملة وشاهد هذه المعجزة وعلاوة على هذا راودته الشكوك في داخله حول معنى هذه الرؤيا بينما هو يتأمل ويفكر في فحواها أقبل الليل وفجأة ظهر له في نومه المسيح بنفس العلامة التي رآها في السماء وأمره بأن يصنع مثالا لهذه العلامة ويستعملها كوقاية له في كل حروبه مع أعدائه.

وفي الصباح أمر صناع الذهب والاحجار النفيســـة بصـــناعتها ويقـــول يوســـابيوس القيصري أنه اتيحت له الفرصة شخصيا لرؤيتها بعد صنعها، وبعـــد وقـــت وجيـــز تلقـــى

1 محمود سعيد عمران، معالم تاريخ أوروبا في العصور الوسطى، دون طبعة، دار المعرفة الجامعية، مصر، ص35.

2 طه خضر عبيد، تاريخ الدولة البيزنطية 324-1453، ط2، د.ت، دون دار نشر، سنة 2012، ص14.

3 جيبون إدوارد، المرجع السابق، هيئة مصرية العامة للكتاب، مصر، 1997، ص 224.

4 بوحنالورنس، تاريخ الكنيسة المسيحية القديمة والحديثة تر: هنري هرس، د.ط، مطبعة الأمير كانية، بيـــروت، 1875، ص 125.

قسطنطين التعليم المسيحي من الاسفار المقدسة ومن الخيرين بأسرار تعاليمه عند إستدعائهم[1] بذلك عمل قسطنطين وزميله أوغسطوس ليسينوس على اصدار مرسوم يدعى مرسوم ميلان 313 الذي يقضي باعتراف المسيحية كإحدى الديانات المصرّح بها، وبممارسة شعائرها مسموحة لدى الإمبراطورية مثلها مثل اليهودية والوثنية.

وجاء في المرسوم "عندما تقابلنا نحن اوغسطس قسطنطين وأوغسطس ليسينوس في ميلان مكللين بالرعاية والعناية أخذنا نبحث في جميع الوسائل الخاصة بصالح رعايانا ومن هذه المسائل التي تهم الكثيرين مسألة حرية العقيدة التي يرتضونها وبذلك نضمن رضا جميع الآلهة والقوى السماوية علينا كما نضمن رضا جميع رعايانا"[2] إلا أن الدارسين اختلفوا حول تنصر قسطنطين أو انه اتخذ هذا المرسوم ليحقق منه أغراض سياسية.

والدليل على أنه اتخذ من المسيحية ومن الكنيسة جهاز أيديولوجي قوي التأثير على الرعايا بطلبه من الكنيسة بإصدار فتوى في صورة قانون كنيسي تحرم الجنود المسيحيين الّذين يتخلون عن سلاحهم أو يحجمون عن القتال، أي أن يتم إعلان الجنديّ الّذي تنطبق عليه تلك المواصفات من طرف كنيسة المقاطعة التي ينتمي إليها بأنه كافر بالمسيحية.[3]

تطورت الأمور بسرعة وأصبح هناك نوع من انعدام الثقة بين ليسينيوس ورعيته المسيحية وإبتداء من سنة 319 أو سنة 326م بدأ ليسنيوس يضطهد المسيحيين بحجة أنهم على إتصال بقسطنطين حينما توترت العلاقات بينهما وهكذا وجد قسطنطين فرصته الكبرى لمهاجمة ليسينيوس بحجة انقاذ مسيحي القسم الشرقي من الإمبراطورية من اضطهاده

1يوسابيوس القيصري، حياة قسطنطين العظيم تر: القمص مرقس داود، د.ط، مكتبة المحبة القبطية الارثوذكسية، مصر، د.ت، ص ص 32-35.

2 سعيد محمد سعيد عبد الحفيظ، "الاعتراف بالمسيحية زمن الامبراطور قسطنطين الأول (306-337م)ن مجلة ليبية العالمية، ليبيا بنغازي، العدد 5، يناير 2016، ص7 نقلا عن : Bury,j.b. History of the later Roman Empire 2 Vols london (1923) p 336.

3العود محمد الصالح، التحولات الحضارية في شمال إفريقيا في الفترة الوندالية، شهادة ماجستير، محمد الصغير غانم، جامعة منتوري قسنطينة، 2009، 2010، ص24.

وتمخض الصراع بين المتنافسين عن انتصار ساحق لقسطنطين في موقع chrys polis والّتي وقعت في 18 سبتمبر 313 وهكذا حقق قسطنطين حلم حياته وأصبح سيّد الإمبراطورية.[1]

فكّر قسطنطين في تغيير عاصمته قبل أنه يهتدي إلى مدينة بيزنطة وفكر في مدينة نيش وهي مسقط رأسه إلاّ أنّه تخلى عنها بحجة أن خطوط المواصلات إليها عسيرة وبعدها عن البحر وتراءت له كذلك سرديكيا حاليا صوفيا عاصمة بلغاريا تحت تأثير ما تذكره الاساطير عن انحدار الشعب الروماني من أصل طروادي، كما أن مدينة نقوميديا لم تحظ باهتمام قسطنطين ولفت نظره ذلك الموقع التي تتميز به مدينة بيزنطة الاغريقية القديمة، فشرع في بناءها في عام 324م بعد أن أصبح الامبراطور الوحيد.

وتشير المصادر المتأخرة إلى قصة اهتداء قسطنطين بأن راح يخط بحريته على الأرض حدود مدينة الجديدة وحاشيته تلهث من حوله ولما سأله متى يتوقف أجاب "علي أن أمضي حتى يتوقف ذلك الذي يسير أمامي" وذلك ورد في كتب التاريخ الكنسي[2] واستغرق بناءها حوالي 06 سنوات وأطلق عليها قسطنطين اسم "المدينة الجديدة" إلا أنها نسبت إلى مؤسسها وقاموا بتسميتها بالقسطنطينية تم الاحتفال بها مدة 40 يوم.

لقد إعتبر قسطنطين النظام الإصلاحي الرباعي الّذي أقامه دقليانوس من أجل التغلب على الأزمة العسكرية التي كانت تستدعي وجود قيصر على كل حدود واقعة تحت تهديد دائم، نظام غير قابل للحياة، [3] وقام قسطنطين بتعيين أبناءه قياصرة ووزعهم على مقاطعات الإمبراطورية وفصل ما يعرف بالوالي البرايتوري وأبعده عن مركز الحكومة وربطه بمسؤوليات إدارية مقتصرة على إدارة المدينة في واحدة من المقاطعات الأربعة وجرده من

1وسام عبد العزيز فرج، دراسات في تاريخ وحضارة الإمبراطورية البيزنطية من 324-1025م، ج1، د ط، 1983

2هسى ج.م – العالم البيزنطي، تر: رأفت عبد الحميد، د.ط، عين الدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، 1997، ص ص 73-74.

3Jean cheynet, histoire de Byzance, presses universitaires, de France, 2005, p12.

السلطة العسكرية حق لا يحاول اغتصاب العرش بعد أن كان في عهد دقليانوس هو قائد المعسكر ويتولى في نفس الوقت الاشراف على الحكومة المركزية كما كانت له صلاحيات قضائية فقد كان يحتل مكانة مثله مثل الامبراطور.

كما ظهر في عهد قسطنطين منصب رفيع في القصر والحكومة المركزية ما يسمى "كبير الحجاب" كان ذات نفوذ وصلاحيات واسعة منها إشراف على العاملين وملازمة الامبراطور وإدارة أقسام الخدمات المختلفة لذا كان كبار الموظفين يخشونه ويكنون الكراهية بسبب قربه من أذن الامبراطور وتأثيره الشخصي عليه والتدخل في شؤونهم.[1]

أمّا عن الجيش في عهد قسطنطين كان مؤلفا من قوات ثلاثة: قوة مرابطة على الحدود لا تحيد عنها، وقوتين متحركتين وكانت القوة المرابطة على الحدود بربرية الأصل تحرث ما أقطعت من أرض وتستغلها، وكان الابن فيها ملزما أن يأخذ مكان أبيه، أما القوتان المتحركتان فإنهما كانتا تحت تصرف الامبراطور الواحد تدعى عن جماعة الرفقاء والثانية جماعة البلاط وكان هناك نوعان من الفرسان: نوع خفيف ونوع ثقيل وأعلى ضباط في الجيش كانوا أسياد يسمون بسيد الخيالة والآخر سيد المشاة[2] فلم يلجأ قسطنطين إلى الإصلاحات الجبرية الصارمة حتى في أواخر أيامه فقد هدفه الأول كان يدركه كل مواطن روماني وهو تحقيق السلم والوحدة والأمن للدولة الرومانية.[3]

عانت روما من سلسلة طويلة من الصراعات الداخلية والمؤامرات والحروب الأهلية، حيث خضعت الإمبراطورية لأزمة هددت وجودها تحت قيادة العديد من الأباطرة قصيري العمر الّذين غالبا ما كانوا من الجيش فقد تقاسموا الحكم على الإمبراطورية الرومانية الغربية وكان حكمهم يميل إلى الإستبداد.

---

1 وسام عبد العزيز فرج، بيزنطة قراءة في التاريخ السياسي والاداري، ط1، عيد للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، مصر2004، ص41-43.

2أسد رستم، الروم، د.ط، مؤسسة هنداوي سي أي سي مملكة المتحدة، 2018، ص 67.

3 تشارلزورت، الإمبراطورية الرومانية تر: رمزي عبده جرجس، مكتبة الاسرة، مصر، 1999، ص211.

كانت مقاليد الأمور بيد الإمبراطور كونه يستوحي سلطته بمقتضى قوى إلهية، وما أصاب الإمبراطورية من ضعف و جمود انعكس على جميع أحوالها الإقتصادية والسياسية والإجتماعية.

الفصل الثاني

أسباب و مجريات سقوط

روما في القرن الخامس

اعتبارا من عام 235 ميلادية بدأ الخطر يحدق بالرومان بسبب التغيرات السياسيّة الكبيرة التي حدثت في العام مما أدى إلى سقوط الامبراطورية الرومانية الغربيّة خلال القرن الخامس الميلاديّ الموافق لسنة 476 م وهذا راجع لعدة أسباب منها الفساد الذي عم داخل الامبراطورية الّذي ساهم في تعرضها لهجمات خارجية.

فقد كان الحكام الحقيقيون للإمبراطورية هم القادة العسكريون أمّا الأباطرة فكانوا مجرد دمى وبدأ انهيار الامبراطورية عندما دخلت العديد من القبائل الغربية إليها واستقرت فيها، فقد أطاح الأمير الجرماني أو توفاكر بآخر الأباطرة رومولوس أوغستوس سنة 476 م ثم ثارت القبائل الجرمانية والأنكلية و الساكسونية والغوط الغربيين على روما وتغلبت عليها.[1]

المبحث الأول: الأسباب الداخليّة و الخارجيّة:

1-الأسباب الداخلية:

أسباب عسكرية:

منذ أن سقطت الإمبراطورية الرومانية والاسئلة لا تكف عن البحث والتقصي عن الأسباب الّتي أدّت إلى سقوط الإمبراطورية واختلفت الزوايا والآراء التي عالجت موضوع سقوط الإمبراطورية من اتجاهات متعددة دينيّة وعسكريّة واجتماعيّة وطبيعيّة وكما يقول جونز " كان لكل عصر تفسيره لاضمحلال وسقوط الإمبراطورية[2] " نبدأه بما هو عسكريّ وبما قيل عن الجيوش الرومانيّة في القرن الخامس التي ترجع إلى افتقار تلك الجيوش إلى الاعداد الكافية وإلى العاطفة الوطنية لأنها في ذلك الوقت كانت تضم بين صفوفها كثيرا من

[1] أحمد علي الناصري، تاريخ الامبراطورية الرومانية (السياسي والحضاري)، ط2، دار النهضة العربية، 1991، مصر، ص497.

2 نفسه ، ص 498.

الجرمان الّذين زاد عددهم عن نصف القوة المحاربة وكانوا يعتبرون زهرة العسكرية الرومانية[1].

قد أظهر الكثيرون من هؤلاء المرتزقة الازدراء علنا للرومان وكانت عواطفها مع الاعداد أضف إلى هذا ان كل جيش مهما كانت العناصر التي يتكون منها كان ينزع إلى ان يكون طبقة وراثية تجمع بينهما روح اتحادية قوية، ولكنه لم يكن يحترم أي سلطة سوى سلطة قائده ولم يكن للجنود أي مصالح مدنية ولكن كانت لهم مظالم دائمة ضد الإمبراطورية، فكل ازمة سياسية توحي اليهم بفكرة التمرد وعلى راسهم القائد، وذلك للحصول على متاخراتهم من الأجور والمنح في الحال ولتولية مرشحهم على العرش أحيانا.

لقد كان هذا الفساد قديم العهد يرجع إلى القرن الأخير من الجمهورية عندما جعل ماريوس الخدمة العسكرية حرفة ليضمن كفاءة الجند الذين تحت امرته وقد توسع حلفاء دقليانوس في ذلك النظام إذ كلما ازداد العنصر الجرماني في الجيوش، كلما تضاءل العنصر الروماني حتى ظهرت عواقب ذلك النظام في عامي 406 و 407م فقد أعقب الاغارات الجرمانية على إيطاليا وغالة وقيام كل من قائدي بريطانيا والراين بالمناداة بنفسه امبراطور على العرش وبذلك أصبح العالم الروماني في الغرب منقسما على نفسه بسبب الحروب الاهلية في الوقت الّذي كان الاتحاد فيه ضرورة قصوى، ومن ثم وقع حدث دخول القوط الغربيين بلاد غالة بدعوة من الإمبراطورية الرومانية.[2]

لقد سبق أن أدرك الحكام مشكلة نقص تعداد الجيوش الرومانية ولكنهم لم يقدموا العلاج الناجع، ففي عهد دقليانوس قد زاد تعداد الجيوش إلى أربعة أضعافه، وفي القرن الرابع أصبحت اكثر بكثير مما كانت عليه أيام يوليوس قيصر وأغسطس غير أنّ قسطنطين أعاد تنظيم وسائل الدفاع عن الحدود ليقتصد أكبر عدد ممكن من الرجال، وعلى عهد

1ديفيز، أوروبا في العصور الوسطى، تر: عبد الحميد حمدي محمود، ط1، دار المعارف، مصر، 1958، ص 18

2 المرجع السابق، ص .ص ، 18- 19.

هونوريوس[1] نجد أنه لم يكون في الاستطاعة الدفاع عن احدى المناطق الحيوية إلاّ بسحب قوات من منطقة أخرى فأولا: "كان الجيش مكونا من المرتزقة وكانت ضرائب باهضه جدا لدرجة التعجيز حتّى قل المتحصل منها[2]، وثانيا: كان من العسير التجنيد من بين أهل الولايات.

وكان كل مواطن مطالبا بحكم القانون بالاشتراك في الدفاع عن الحصون والمعاقل المحلية غير أن استعمال الأسلحة أصبح شيئا غير مألوف وأصبحت فكرة الخدمة العسكرية كواجب وطني في خبر كان حتى أن ستيلكو أيام وجود الجرمان في إيطاليا فضل إتخاذ إجراء اليائس بتجنيد العبيد على أن يلجأ إلى الطريقة الواضحة وهي المناداة بالتعبئة العامة وهكذا نجد أن المشكلة التي تواجهنا أصبحت اجتماعية أكثر ما هي عسكرية.[3]

السبب الاجتماعي:

يبدوا أن الإمبراطورية في عهودها الأخيرة عانت من تدهور عدد السكان وهو التدهور الّذي كان نتيجة لانتشار الأوبئة على الرغم من أن مشكلة القوة البشرية كانت نتيجة عوامل إجتماعية أكثر من كونها نتيجة عوامل ديموغرافية (سكانية) لان الإمبراطورية كانت في عام 300 م تضم عددا يتراوح بين خمسين وسبعين نسمة، وهو عدد كبير يكفي للاحتفاظ بجيوش قوية، غير أن الاباطرة كانوا يخشون تزويد الفرق العسكرية بأبناء الطبقة الارستقراطية حتى لا يحاولوا الاستيلاء على الحكم.

1هونوريوس: (384-423م) امبراطور روماني للإمبراطورية الرومانية العربية جلس على العرش وهو ذا تسعة سنوات من أهم أعمال نقل العاصمة من ميلانو الى رافينا اجتاز القوط الغربيين عاصمة بسهولة، صك عملة فضية بصورته.

2ستيلكو: ابن احد ضباط من الجيش المرتزقة نصب كوصي للعرش من قبل الامبراطور قاد عدة انتصارات ضد الغوط والهون سنة 397م هزم ملك الاريك القوطي.

للتفاصيل: أكثر راجع محمد عدلي سليمان، ريكر ودوره السياسي في الإمبراطورية الرومانية الغربية 419-472م / مجلة كلية الآداب، العدد53، افريل، 2020، ص12.

3ديفيز، المرجع السابق، ص20.

كما أن الطبقة الوسطى غابت عن المجتمع بسبب ارهاقها[1] بالضرائب التي فرضتها عليهم إصلاحات الاباطرة كما يرى بعض أمثال أميانوس مارسيلينوس (391-365) الّذي كان في الجيش الروماني ثم بدا في كتاب التاريخ الروماني يرى أن المآسي الاجتماعية للإمبراطورية الرومانية ترجع إلى الفساد والتدهور الخلقي اللذان تغلغلا في جوانبها حيث كانت الدعارة من أكثر المهن الرومانية[2] رواجا وتنظيما.

كما كان الشذوذ الجنسي متفشيا في أوساط الطبقة الارستقراطية على سبيل تقليد المجتمع اليوناني بحيث كان فساد النظام الاجتماعي والأخلاقي وانعكس عن عجزه لأداء وظيفته في المجتمع[3] كما ابتعدوا عن فكرة الزواج بعد أن ساء سلوكهم وحادوا عن طريق الجادة، والحقيقة أن الرومان كانوا يميلون إلى الاكثار من النسل ولكنهم خلال الفترة الّتي نتناولها، نظروا إلى الزواج على انّه مغامرة قصيرة الاجل خالية من كل معنى روحي.[4]

السبب الّثقافي:

كما افتقرت هذه الإمبراطورية إلى الوحدة اللغوية حيث تكلمت شعوبها مجموعة من اللغات السامية والحامية متمثلة بلغة قبائل البربر في افريقيا واللاتينية والهلينية إلى جانب لغات العناصر الجرمانية والسلافية والديموطبقية (في مصر) وصفوة القول أنّ هذه الإمبراطورية، وعلى الرغم من محاولة السلطة أن تسود فيها حضارتها وثقافتها وأن تربطها بشبكة من الطرق البرية المعبدة التي تقوم على العموم إلى روما والتي ما تزال آثارها باقية إلى يومنا هذا حيث تدعى الآن بالطرق الرومانية وهي أظهر ما تكون في منطقة جبل سمعان شمالي سوريا.

1كانتورنورمان، العصور الوسطى الباكرة تر، قاسم عبده قاسم، د.ط، عيد للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، مصر، 1969م، ص42.

2 محمود محمد الحويري، المرجع السابق، ص21.

3 كانتور، المرجع السابق، ص44.

4محمود محمد الحويري، المرجع السابق، ص22.

فهذه الإمبراطورية استمرت مفتقرة إلى التجانس بين عناصر سكانها وإلى الوحدة اللغوية والوحدة القومية ويمكن ان تغزو كل ذلك إلى عاملين قويين هما: سعة الإمبراطورية وتباين أجناس وحضارة وثقافة مختلف اجزائها لا سيما أن كان من بين الاقطار التي خضعت لإمبراطورية روما اقطار أعرق حضارة حتى من روما نفسها.[1]

كما يرى بعض المؤرخين أيضا أن الاستشراق كان سببا من أسباب سقوط الإمبراطورية الرومانية فقد تسربت روح جديدة وحضارة من الشرق إلى الكيان الروماني مما أدى إلى تخلي الناس عن الاهتمام بأمور هذا العالم الروحاني، كما نتج عن ذلك فقدان العناصر القيادية الحقة، وفي هذا المجال انتقلت أيضا فلسفات جديدة مثل الافلاطونية السكندرية الجديدة التي تساعد على انتظارها انها ربطت بين معتقدات مدارس كثيرة وربطها بين غموض مصر والشرق والفلسفات اليونانية وكان ذلك مقدمة لانصراف كثير من الناس عن عبادة الإمبراطورية والّتي كانت تقوم عليها وحدة الإمبراطورية أنذاك.

السبب الدينيّ:

على صعيد الحياة الدينية التي تلت إصلاحات قسطنطين من تحوله إلى المسيحية جعل من الممكن للكنيسة ان تنمو بسرعة تحت الحماية الودية الإمبراطورية والسنوات التي بين انتصار قسطنطين عند جسر ميليفيان سنة 312 م والسقوط النهائي للقسم الغربي من الإمبراطورية سنة 476م كانت سنوات مهمة جدا في تطور المسيحية فمن ناحية شهد القرن الرابع تحول جماعيا اتجاه المسيحية، وربما كان عشرة في المائة من سكان القسم الغربي من الامبراطورية مسيحيين سنة 312م وفي القسم الغربي ربما كان يزيد على هذه النسبة كثيرا.[2]

1صلاح مدني، تاريخ العصور الوسطى في أوروبا، الفترة الأولى بين نهاية القرن4 و القرن 11 الميلاديين، 1973.

[2] ورن هلستر أوروبا في العصور الوسطى، تر محمد فتحي الشاعر، مكتبة الأنجلو المصرية، مصر 1977م، ص 42.

في نهاية القرن الرابع وبداية القرن الخامس الميلادي، كان المسيحيون يمثلون غالبية السكان، بيد أنه في غالب الأحوال آثار ائتصال المسيحية خلافا داخليا وهذا سببا من أسباب سقوط الإمبراطورية الرومانية الغربية حيث شهد صراعا عنيفا[1] حول جوهر طبيعة المسيح عيسى عليه السلام أي تحديد العلاقة بين المسيح الابن والإله الاب، لقد اختلف اثنان من رجال الكنيسة في الإسكندرية وهو آريوس[2] و أثناسيوس[3] فقال الأول بان المنطق يحتم وجود الاب قبل الابن، ومعنى ذلك أن المسيح الابن مخلوق من الاله الاب، وبذلك فهو دونه في المستوى والقدرة " تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا".

قال أثناسيوس بأن فكرة الثالوث المقدس[4] تجعل من الابن مساويا للإله الاب، إذ هما من أصل واحد بعينه ويرى الاريوسيون أن مذهبهم يقوم على التوحيد والفعل والمنطق، في حين يتناسب المذهب الاثناسيوسي مع تفكير عامة الناس من البسطاء والّذين ينظرون إلى الحياة بعين العاطفة لا بعين العقل وبناء على الفوارق الحضارية فقد سادت الاريوسية في الشرق والاثناسيوسية في الغرب وبذلك انقسم العالم الروماني إلى معسكرين تسودهما البغضاء الدينية والسياسية.[5]

اشتد الصراع والنّزاع الديني بين إسكندر أسقف كنيسة الإسكندرية (أثناسيوس) واوريوس ممّا دفع بالإمبراطور قسطنطين إلى التّدخل ومحاولة التوفيق بين المذهبين وارسل مبعوثا إلى الإسكندرية لهذا الغرض، ولكن جهود الامبراطور لم تثمر غير الفشل لذلك دعا

1 نفسه، ص 45.

2 أريوس: وهو أحد قساوسة مصر وراعي كنيسة يوكاليس بالإسكندرية للاطلاع أكثر أنظر نعيمة إدريس، أزمة المسيحية بين النقد والتاريخ والتطور العلمي، شهادة دكتوراه، قسم الفلسفة، جامعة منتوري، قسنطينة، 2007-2008، ص37.

3أتناسيوس: وهو أسقف الكنيسة الإسكندرية.

4 الثالوث المقدس: ويتكون من 3 اعتقادات وهي الايمان بالأب والابن وروح القدس واحد في الجوهر الإلهي.

5جمال الدين صالح الكيلاني، في التاريخ الأوروبي الوسيط، د.ط، مكتبة مصطفى للدراسات، القاهرة، 2011، ص 14، 13.

قسطنطين إلى عقد مجمع ديني في نيقية[1] عام 325م لفض النزاع، وكان هـذا المجمـع أول مجمع كنيسي عالمي في تاريخ الكنيسة المسيحية، إذ تواجد فيه ما يقارب ثلاثمائة رجل ديـن من مختلف أنحاء الإمبراطورية الرومانية.

وقد ترأس قسطنطين أشغال المجتمع وقد استهل حديثه في اشغال المجمع معبرا عـن موقفه بأنه يرى أن السلام الروماني يقع في دائرة مسؤوليتة وعبر عن تنمره الشديد للصراع الّذي قام بين المسيحيين ورأى أن ذلك أخطر أنواع الحرب وقد كانـت النتيجـة بعـد تلـك المناقشات الطويلة الوصول إلى عقيدة تتضمن مبادئ يتقبلها الجميـع لأن قسـطنطين كـان يحرص في واقع الامر على كسب ولاء الأكثرية قبل التفكير في تأييد مذهبهم الـديني لكـن المجتمع عارض عقيدة أريوس وتمسك بالراي الأرثوذكسي (الاثناسيوسي) ولم يعارض هـذا القرار سوى أريوس واثنين من اتباعه المخلصين فأصدر المجتمع قرار يحرمانهما من رحمة الكنيسة.

كما أصدر الامبراطور قسطنطين قرار نفيهم من مصر وفرض الإقامة الجبرية عليهم إلا أنها ظلت الاريوسية قائمة في الأجزاء الشرقية ووصلت إلى القبائل الجرمانية عن طريق المبشرين وكان حضورها بقوة مما أدى إلى تغيير راي الإمبراطور قسـطنطين فاسـتدعى اريوس من منفاه عام 327م وأمر باعادته إلى الكنيسة الإسكندرية وعقد مجمعا دينيـا أخـر عام 335م لمحاكمة أثناسيوس بسبب موقفه العنيف مع اريوس وعزل أثناسيوس في منصبه وتم نفيه إلى مدينة تريفيز الواقعة على نهر الراين في الحدود بين غالة وجرمانيا[2].

1نيقية، وهي مدينة إغريقية قديمة وإحدى المدن البيزنطية الهامة تقع على ساحل الاناضول الغربي عند بحر مرمرة وتسمى ازنيق حديثا للاطلاع أنظر الى حسين المنصوري، مجمع نيقية المجمع المسكوني الأول، ط1، إصدارات أنصـار الامـام مهدي، 2011، ص58.

2 أحمد سحالي، إصلاحات قسطنطين الأول الدينية والسياسية في أوروبا (337-306م) شهادة ماجستير، جامعة الجزائر2، 2014-2015، ص 132-135.

وما إن حل القرن الخامس ميلادي كان المذهب الاثناسيوس قد استبعد تماما من كنيسة الدولة وتمت السيطرة للفلسفة الإسكندرية التي كانت الأداة الأساسية في الوصول إلى هذه النتيجة[1] ومن هذا المنطلق كان الوثنيين يعزون سبب سقوط الإمبراطورية إلى النصارى ويلومونهم ويعتقدون أن فيضانات نهر التيبر دلالة على غضب الآلهة وربطوا مصائبهم باعتناق البعض دين محدث وهجرانهم للمعابد التقليدية.[2]

السبب الاقتصاديّ:

لم تكن الإمبراطورية الرومانية تستند في نظامها الاقتصادي إلى مبادئ سليمة ابتداءا من القرن الثالث فقد اختل نظام العمل وكان الإنتاج في اضمحلال، وقضى انعدام الطمأنينة في البر والبحر على التجارة ولم يكن في استطاعة الصناعة أن تزدهر لأن سوق المنتوجات الصناعية كانت في انكماش، وقدرة الأهالي على الشراء غير ممكنة ومرت الزراعة بأزمة شديدة لأن إنحلال الصناعة والتجارة حرمها من رأس المال الّذي تحتاجه كما حرمتها مطالب الدولة الثقيلة من الأيدي العاملة ومن أكبر جزء من إنتاجها.

وقد استمر ارتفاع الأسعار وانخفظت قيمة العملة بسرعة لا مثيل لها، وحطم النظام القديم ولم يبتدع نظام جديد خاص بالضرائب وقامت العلاقات بين الدولة ودافع الضريبة على السرقة[3] وحتى أن الإمبراطورية نفسها لم تعد بمقدرتها تأمين غذائها بنفسها وإنما كانت لقمة العيش تشحن إلى العاصمة من شمال إفريقيا أو من مخازن الغلال في الإسكندرية كما أن العملة اختفت ليحل محلها نظام المقايضة البدائي وصارت رواتب الجند تدفع لهم حصة

1 نعيمة ادريس، أزمة المسيحية بين النقد التاريخي والتطور العلمي، شهادة دكتوراه، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم الفلسفة، جامعة منتوري، قسنطينة، 2007-2008م، ص37.

2مونتسكيو، تأملات في تاريخ الرومان أسباب النهوض والانحطاط، تر، عبد الله العروي، ط1، المركز الثقافي العربي، المغرب 2011، ص175.

3روستوفترف، تاريخ الإمبراطورية الرومانية الاجتماعية والاقتصادية، تر، زكي علي محمد سليم سالم، مكتبة النهضة المصرية، مصر، 1957م، ص 604-605.

من القمح بدلا من العملة إلى جانب هذا أغفلت روما قوتها البحرية ولم تؤمن مجالات نشاطها البحري في البحر الأحمر والبحر الأسود وسواحل بلاد الغال الشمالية، ثم إن البحر الأبيض نفسه سرعان ما بات نهبا للقراصنة.

وإذا نظرنا إلى الريف الروماني حيث الزراعة وتربية الماشية والتعدين، نجد أن العبئ كله كان يقع على كاهل العبيد وإزداد الامر سوء بعد عهد قليانوس الذي ابتدع نظام الحكم الرباعي (tetrarchy) حيث قسم الإمبراطورية إلى اثني عشرة ولاية ولكل قسم أجهزته وجيوشه[1] ولابد دفع المستحقات للجيش بعد ان زادت أطماعه الذي كان يعيش حالة ترف وراحة خصوصا في عهد سينيموسسفيروس وخلفائه عندما بالغ في منح الهدايا والهبات.

فتسبب ذلك الأمر في عجز ميزانية الدولة عن دفع ما عليها من مستحقات فقد كانت هذه الكفاءات للجيش نتائج خطيرة بعد إفلاس وعجر الخزينة الاقتصادية للإمبراطورية وأصبح من الصعب إغلاق الأفواه المفتوحة للجيش كذلك من الصعب كبح جماح الجنود وإزدادت مطامعهم، وإزدادت شهوتهم اتجاه المال مما انعكس على الفوضى داخل الإمبراطورية وتمرداتهم على الإمبراطورية.[2]

كما فرضت الضرائب على أبناء الطبقة الوسطى وصغار الملاك والعائلات السيناتورية والادهى من ذلك في القرنين الرابع والخامس الميلادي أن تحايل الكثيرون على جامعي الضرائب بأن تنازلوا عن أراضيهم لسادة أعضاء مجلس السيناتو كي لا تجبى عليه الضريبة، وفي مقابل ذلك كان السيناتور يحصل مبلغا محددا من المال من صاحب الأرض

1 إسحاق عبيد، أوروبا في العصور الوسطى المفهوم والحضارة، د.ط، دار الفكر العربي، القاهرة، 2006، ص12.

2آمال سعيد محمد الشوشان، الامتيازات الممنوحة للجيش الروماني والنتائج المترتبة عليها من 27 ق.م 235م، كلية التربية الزاوية، جامعة الزاوية، ص8.

ليستر عليه وهو يقوم بزراعتها والاستفادة بمحصولها وقد عرف هذا التحايل باسم (patrocinium).

كانت الدولة تكافح هذا التحايل إلا أن أفراد الطبقة الارستقراطية الزراعية كانوا يعرفون كيف يحشون جيوب القضاة وجامعي الضرائب برشوة الدسمة، وهكذا إنتشر الفساد بين رجال العدالة أيضا ولم تكن الأمور أحسن حال مع التجار وأرباب الحرف ففي نهاية القرن الثالث صدر قانون يثبت هذه الشريحة من المجتمع الروماني في حرفتها حتى تصبح كادرا وراثيا ووضعا اجتماعيا ثابتا يرثه الأبناء عن الآباء رغبوا في ذلك أم كرهوا.[1]

السبب الطبيعيّ:

إتسمت أملاك الدولة الرومانية حتى إمتدت حدودها في القرن الثالث ميلادي من نهر الفرات شرقا إلى المحيط الأطلسي غربا ومن الصحراء الكبرى جنوبا إلى نهر الدانوب والراين شمالا[2] وهذا الاتساع الكبير جعلها غير قادرة على التحكم والسيطرة مما عجل من سقوطها وكان سببا في إعاقتها إضافة إلى إهمال روما كعاصمة لهذه الإمبراطورية الضخمة التي استطاعت أن تنافس أزهى المدن في تلك العصور لكن عوامل الضعف الإدارية والسياسية والاخطار الخارجية التي تعرضت لها الإمبراطورية، أخذ الاباطرة في البحث عن مواقع لعاصمة جديدة.

فقد اتخذ الامبراطور دقليانوس من نيقوميديا في الشمال الغربي من آسيا الصغرى على بحر مرمرة عاصمة له كذلك أصبحت ميلان أو ميلانو التي أصبحت مركزا هاما للجيوش

1إسحاق عبيد، المرجع السابق، ص14.

2 حسن إبراهيم حسن، أحمد صادق الطنطاوي، تاريخ العصور الوسطى في الشرق والغرب، ط2، دار الطباعة الأهلية، القاهرة، 1933، ص10.

الإمبراطورية لصد الهجمات واتخاذ القسطنطينية عاصمة في عهد الإمبراطـــور قســـطنطين بحيث تركوا روما وأهلها بأثقالها.[1]

كما أن للبيئة أثر على الإمبراطورية فلقد كفت أمطار فصل الشتاء العادية أن تهطـــل على الأرض بغزارتها المعتادة فظهرت مجاعة على غير انتظار، ثم حلت الأوبئـــة عـــلاوة على هذا وهو مرض شنيع عبارة عن قرحة قيل أنها بحق جمرة بالنسبة لمظهرهـــا النـــاري حيث كانت هذه القرحة تنتشر في كافة الجسم وكانت تعرض حياة الشخص إلى الخطـــر أو الموت في بعض الأحيان وعندما كانت تصيب العينين كانت تحرم على جماهير مـــن نســـاء ورجال وأطفال من البصر- وكان عدد الّذين ماتوا في المدن لا يحصى وفي الريف أكثـــر[2] حتى أن المؤرخ الروماني كاسيوس ديو ذكر عن ما يقارب ألفي شخص يموت يوميا بســـبب هذا الطاعون إذ تقول الدراسات الحديثة أنه ربما يكـــون ســـوى مـــرض الجـــذري حســـب مواصفاته.[3]

2-الأسباب الخارجية:

إنّ الجرمان من الغزاة الأوائل الذين اجتاحوا حدود الامبراطورية فاحتلوا وسط أوربا وإلى الشرق منهم كانت قبائل السلاف البدائية وإلى الشرق منهم نزل شعب الهون المعروف بهمجيته والّذين عرفوا بكثرة إغاراتهم على من يجاوزونهم، ولكن سور الصين العظيم حـــد من إغاراتهم مما جعلهم يتحولون إلى أوربا وضغطوا على جيرانهم من القـــوط الغـــربيين، ونتيجة لتعرض المناطق الّتي نزل فيها الهون للجفاف دفعهم لاجتياح الحدود الرومانية.[4]

1إبراهيم حسن عبد الوهاب حسن وآخرون، معالم التاريخ البيزنطي (السياسي والحضاري) د ط، دار المعرفة الجامعيـــة، الإسكندرية، 2003م، ص 13-14.

2يوسابيوس القيصري، تاريخ الكنيسة، تر، القمص مرقس داود، ط1، مكتبة المحبة، القاهرة، 1960م، ص413.

3Dion cassius, histoire romaine de dioncassius.

4أطلس حضارات العام القديمة، ترجمة: عماد الدين أفندي، الطبعة الثانية، دار الشرق الغربي للطباعة والنشر والتوزيـــع، بيروت، لبنان، 2016، ص141.

لقد إزداد الضغط على حدود الامبراطورية بتحرك القبائل الجرمانية المستقرة على جبهتي الراين والدانوب، حيث أقامت إغارات مكثفة وصلت داخل تلك الحدود ولغاية أواخر القرن الثاني كانت الجيوش الرومانية قادرة على حماية الحدود ومستعدة لأي اعتداء يقع عليها ويعود الفضل لأباطرة أمثال ماركوس أوريليوس161 – 180)الذي قضى معظم فترة حكمه محاربا للجرمان، وتمكن فعلا في حماية لجبهة الراين، ولكن سرعان ما تغير الوضع على الحدود في النصف الأول من القرن الثالث، ففي شمال منطقة الراين الأدنى دخلت قبائل الجرمان في حلف عرف باسم الفرنجة وفي الجنوب تأسس حلف من قبائل مختلفة اتخذ اسم الأليماني، وفي منطقة الدانوب الأدنى تألف حلف من قبائل القوط والماركوماني – Marco mani وغيرها.

وتمكنت تلك القبائل من إقتحام حصون ودفاعات الامبراطورية سعيا وراء الطعام فنهبت إقليم الغال المعروف بثرواته العظيمة وواصلت تقدمها زحفا نحو الجنوب حتى وصلت اسبانيا، إضافة إلى ولايات الدانوب كذلك تعرضت للنهب واستمرت القبائل المغيرة في زحفها حتى تمكنت من التوغل داخل شمال إيطاليا.[1]

لقد عبر القوط الغربيون (هم من العناصر الجرمانية) المناطق السفلى من الدانوب شعب من البدو الرحل، يمتطون الجياد ويشكلوا جيشا قويا حتّى من النساء والأطفال، أما الكبار فيركبون العربان ولقد دمر الفرسان منهم فرق المشاة الامبراطورية بالقرب من القسطنطينية وقتلوا الإمبراطور، وبزعامة قائدهم الشهير ألريك Alaric انساحوا خلال بلاد اليونان، ثم تحولوا إلى الغرب واستولوا على روما سنة 410 م،[2] إلاّ أنهم وجدوا إيطاليا بلدا

1 دكتور محمود محمد الحويري، المرجع السابق، ص26.

[2] موريس بيشوب : تاريخ أوربا في العصور الوسطى، ترجمة : علي السيد علي الطبعة الأولى، القاهرة، 2005، ص 18.

فقيرا لا يستطيع إعالتهم، فانسحبوا منها وعبروا بلاد الغال "فرنسا " إلى إسبانيا وأسسوا هناك مملكة للقوط الغربيين.[1]

لم يكف الامبراطورية ما أحدثه الجرمان من متاعب لها، ففي عهد الامبراطور قاليريان (253 – 260م) دنا البربر البدو الرحل على الإغارة على أملاك الامبراطورية في ولاية أفريقية الرومانية ونهب مدنها ومزارعها.[2]

أتى غزو الوندال بعد القوط الغربيين والجرمان وقد اشتهروا بإسرافهم في التدمير والوحشية وعمليات التهب والسلب وقد شيدوا مملكتهم في موقع قرطاج القديمة ومن هنالك وصلوا بسفنهم إلى روما سنة 557 م ليقوموا بكثير من عمليات النهب والسلب واستمرت اغاراتهم المدمرة مدة أسبوعين فحطموا سقف "الكابيتول "The capitoL معتقدين أنه من الذهب، كما أنهم حملوا معهم التماثيل ومن المحتمل أنهم قاموا بهذا لما فيها من معدن البرونز أكثر منه تقديرا لها كأعمال فنية.[3]

لما سحبت حكومة الامبراطورية حاميتها من مناطق الحدود النائية لتقليص حدود دفاعاتها والتركيز على حماية روما وذلك أثناء تهديد القوط لها، وقد إستغلت بعض القبائل الجرمانية هذه الفرصة واندفعت إلى داخل حدود الامبراطورية، كما أن هذا الوضع قد ساعد بعض المتنافسين على السلطة من الرومان فإستعانوا في بعض الأحيان بهذه القبائل من أجل الوصل إلى أطماعهم السياسية.

كان أول هجوم شنه الوندليون على إيطاليا عام 405 ولكن ستيلكوصدهم، وفي العام التالي هاجمت موجة أخرى من الوندالين بالتعامل مع قبائل السويفيsuevi منطقة الراين وعبرت النهر بالقرب من ماينز Mainz وتوغلت في بلاد الغال حتى البرانس.

---

1 نفسه، ص 18.

2الدكتور محمود محمد الحويري، المرجع السابق، ص 27.

3موريس بيشوب، المرجع السابق، ص 19.

وفي عام 409 توجهوا من بلاد الغال إلى إسبانيا، ولنقص العتاد والمؤن اضطروا إلى التصالح مع الامبراطورية الرومانية في الغرب الأوروبي فأصبحوا حلفاء ومحوا حق الاستيطان، وبناء على هذا التصالح احتل الوندليون وقبائل السويفي المنطقة الشمالية الغربية من شبه جزيرة إيبيريا بينما إستوطنت قبائل السلنجيانsiLingian منطقة الوسط، ولكن الحكومه الرومانية اعتبرت الوندليين ضيوفا غير مرغوب فيهم وراحت تترصد الفرصة لطردهم.[1]

كلف الامبراطور قسطنطينوس الزعيم القوطي واليا waLLiaعام 416 بمهاجمة الوندليين وكان واليا أن يقضي على الوندال لولا استدعاء قسطنطيونس لهذا الزعيم قبل إتمام مهمته، ولم يقضى وقت طويل حتى استرد الوندليون قوتهم وهاجموا قبائل السويفي التي كانت تتعاون مع الرومان واختلوا اسبانيا كلها.

في عام 455 أغتيل الامبراطور قالنتيانوس الثالث واستنجدت أرملة الامبراطور بالوندليين ضد خصومها، فاستغل القائد الوندال يجايسيرك الفرصة وهاجم إيطاليا واحتل روما وبقي فيها أحد عشر يوما ونهب معابدها وكنوزها ودمر جزءا كبيرا من مبانيها ومرافقها وأسر عددا من وجهائها من بينهم يودوكسياEudoxia أرملة قالنتيانوس الثالث وبناته وأخذهم معه كرهائن يملي بهن شروطه[2].

وفيما يخص الهون فهم شعب مغولي الأصل، فقد كان الأوربيين الغربيون ترتعد فرائصهم بمجرد رؤية وجوههم عديمة الشعر، المليئة بآثار الجروح، وعيونهم الصغيرة الغائرة، ورائحتهم العفنة. والّذين تمكنوا من إجتياح بلاد الغال سنة 451م تحت قيادة زعيمهم أتيلا AttyLa نقمة " الله «، فتحالفت القوات الرومانية والقوط الغربيون والعديد من القبائل

1دكتور سيد أحمد على الناصر: تاريخ الامبراطورية الرومانية – السياسي والحضاري – الطبعة الثانية، دار النهضة العربية، القاهرة، 1991، ص474

2 دكتور سيد أحمد علي الناصري، المرجع نفسه، ص 475، 476 .

الجرمانية واستطاعوا طردهم بعد معركة طاحنة بالقرب من مدينة Troyes، وبعدها استطاع الهون عبور إيطاليا بخيالتهم ووصلوا إلى أسوار روما، حيث تصدى لهم البابا ليو العظيم بشكل فعال، إلاّ أنّهم سرعان ما رفعوا حصارهم وغادروا إيطاليا بسبب موت أتيلاAttiLa المفاجئ.[1]

تلى هجمة الوندال على بلاد الغال عام 406 هجمات برية أخرى قادها قبائل البرورجونديينBurgundians والفرنجة الساحليين والالمان ALamanni، فسيطر الالمان والفرنجة على الجانب الغربي لنهر الراين، [2]وهذه الأخيرة هي من القبائل الجرمانية والّذين كانوا قد استقروا في جزء من الامبراطورية الرومانية وهو ما يعرف الأن باسم بلجيكا، فإنهم تقدموا صوب الشرق في الوقت الذي قام فيه البرجنديون بعبور الراين الأعلى ودخلوا المنطقة التي عرفت فيما بعد باسم برجندياBurgundg– مما أرغم الجيش الروماني المتضائل إلى أن يحمي خطوط دفاعات الامبراطورية على إمتداد الجزء الأعظم من القارة وبالتالي إلى أن ينسحب شيئا فشيئا من بريطانيا BriTain في بدايات القرن الخامس للميلاد . وعندئذ احتج السكان المحليون لدى الامبراطور وطالبوا بالمساعدة فكان رده عليهم أن يتعلموا كيفية الإعتماد على أنفسهم في الدفاع[3].

بينما توغل البورجونديون جنوبا إلا أنهم هزموا على يدايتيوسAetius القائد الروماني على بلاد الغال وأرغموا على الدخول في تحالف تعاهدي مع الامبراطورية وذلك في عام 433 وسمح لهم باستيطان منطقة ساقوي savoy ولكنهم راحوا يتوسعون منذ عام 457 حتى احتلوا وادي الرون كله وشكلوا مملكة عرفت باسمهم.

1موريس، بيشوب، المرجع السابق، ص 19 .

2سيد أحمد على الناصري : تاريخ الامبراطورية الرومانية – السياسي والحضاري، الطبعة الثانية، دار النهضة العربية، القاهرة، 1991، ص476.

3موريس بيشوب، المرجع السابق، ص 19.

أما قبائل الفرنجة الساليانية (الذين كانوا يسكنون الأراضي الواقعة حول نهر سالا) فقد عبروا الراين قبل عام 350 واحتلوا منطقة توكساندريا Toxandria، وبقوا فيها كحلفاء متعاهدين مع الرومان وكانوا مخلصين لهم لأنهم حاربوا معهم ضد الهون عام 451 وظل ملكهم تشنلدريكو في روما حتى موته عام 481 – ولكن خليفتة كلوفيسcLovis توسع في وادي اللوار وبذلك أصبحت بلاد الغال كلها تحت سيطرة قبائل الفرنجة الجرمانية.[1]

وكذلك من الأخطار الخارجية التي واجهتها الامبراطورية الرومانية في القرن الثالث وكانت دليلا على ضعفها، ظهور دولة تدمر paLmyra التي لم تكتف بالخروج على طاعة روما بل أعلنت تحديها بالاستقلال عن نفوذها والّتي تم الاستيلاء عليها من طرف الرومان في القرن الأول الميلادي بعد الادراك لأهميتها المستمدة من موقعها (وقوعها على طريق القوافل التجارية بين موانئ سوريا على البحر المتوسط والفرات من ناحية وتصل شبه الجزيرة العربية بشمالي سوريا وأعالي العراق من ناحية أخرى.[2]

أمّا بريطانيا فقد انسحب منها الرومان في نهاية القرن الرابع ولذلك بسبب اضطرار ستيلكو إلى استدعاء القوات من بريطانيا لحماية ايطاليا وذلك في عام 402 وعندما أعلن قسطنطينوس نفسه امبراطورا اصطحب معه البقية الباقية من القوات إلى بلاد الغال ليفرض نفسه ويحصل على اعتراف رسمي بمركزه، وحين انشغال روما بالصراع مع القبائل المهاجمة لبلاد الغال أهملت بريطانيا، ومن ثم اعتمد سكانها على حماية أنفسهم.

وأخيرا تنبهت الامبراطورية إلى هذا الخطر فأعادوا الحامية الرومانية ببريطانيا تحت قيادة ضابط كبيرBrtanniarun Comes ولكنها لم تصمد في مواجهة القبائل الانجليزية والسكسونية وقبائل الجوت jutos الذين بدأوا يستوطنون الجزيرة منذ عام 428 فاضطرت الحامية الرومانية إلى التقهقر والإنسحاب من الجزيرة حوالي عام 442، ولم تعد إليها روما

1سيد أحمد علي الناصر، المرجع السابق، ص 476، 477.

2الدكتور محمود محمد الحويري، المرجع السابق، ص30 .

أبدا منذ ذلك التاريخ حتى عندما استنجد السكان بالإمبراطورية من زحف القبائل عليهم، واستمر تدفق القبائل الانجليزية والسكسونية والجوتية على الجزيرة خلال قرن ونصف قرن، وأدى القتال خلالها إلى إختفاء ملامح الحضارة الرومانية فيها واختفت اللغة اللاتينية تدريجيا منها ومعها كل التراث الّذي حاول الرومان تنميته عبر أربعة قرون من الاحتلال.[1]

المبحث الثاني: المجريات والأحداث

1- القبائل الجرمانية:

تعرضت الإمبراطورية الرومانية لغزوات القبائل الّتي زحفت من موطنها الأصلي في شبه الجزيرة الإسكندنافية وقد أطلق الرومان على هذه القبائل اسم الجرمان[2]، كما أطلقوا عليهم اسم البرابرة الّتي تعني في الأصل الهمجية وتشير إلى أولئك النّاس الّذين لا يتكلمون اللّغة اللاتينيّة أو الرومانية [3].

بدأت هذه القبائل الجرمانية الزحف من موطنهم الأصلي الّذي كان في البلاد المحيطة ببحر البلطيق ذات أصول آسيوية، إنتشروا في القرنيين الأول والثاني الميلادي في أواسط أوروبا وشرقها عبر نهر الراين والدانوب حتّى استقروا في المناطق الواقعة بين نهري الألب والراين وكانوا يحتلون الأراضي الّتي تسمى اليوم ألمانيا والنمسا [4].

لقد كانت العلاقات في أول الأمر بين الدولة الرومانية وهؤلاء البرابرة قاصرة على تبادل التجارة، ثمّ تدخل البرابرة حبا في الإستطلاع وطلبا للرزق ورغبة في تعلم نظام الحكم الروماني لأنّهم كانوا مزارعين ورعويين ويعيشون على الصيد، وكان أكثر العاملين من

1 سيد أحمد علي الناصري : تاريخ الامبراطورية الرومانية – الساسي والحضاري، الطبعة الثانية، دار النهضة العربية، القاهرة، 1991، ص 477.

2 تامر مكي علي، محاضرات التاريخ السياسي للعصور الوسطى الأوروبية، جامعة المستنصرية، كلية الآداب، قسم التاريخ، 2018، ص45.

3 تامر مكي علي، المرجع السابق ، 46.

4 رائد سامي حديد، القبائل الجرمانية، كلية التربية للعلوم الإنسانية، جامعة تكريت، 2019-2020 .

الرقيق والنساء وكان الجرمان ذات أجسام ضخمة وبنية قويّة حمر الوجه يميل شعرهم إلى الشقرة [1].

وعلى العموم يمكننا أن نقول إنّه قبل سنة 374 م كان وجود البرابرة في الإمبراطورية الرومانية قاصرا على إستخدامهم في الجيش وفي الإدارة، امّا بعد هذا التاريخ فبدأ تدخلهم الحربي الّذي أدى إلى استيلائهم على ممتلكات الدولة، فكان وجودهم بالجيش والإدارة قد مهد لهم الطريق لإحتلال البلاد الرومانية.

بدأ الهجوم العام للقبائل المتبربرة في أواخر القرن الرابع وأثناء القرن الخامس بعد الميلاد، والسبب في هذه الحركة ظهور قوّة جديدة من جهة الشرق دفعت هذه القبائل أمامها جنوبا وغربا، جاء هذا الضغط من ناحية قبائل الهون الّتي كانت أكثر الشعوب الجرمانية المتبربرة المسؤولة على تسرب ودخول قبائل جرمانية أخرى إلى داخل الإمبراطورية عبر نهري الراين والدانوب.[2]

ويعتبر الهون من الجنس المغولي ومن القبائل الآسيوية تسكن منطقة السهوب الآسيوية حيث يقول عليهم جوردين أنّهم كانوا من ذرية الساحرات والأرواح النجسة وأنّهم كانوا من قبيلة الأقزام الأشرار الضعاف النفوس والمجردين من الإنسانية ولم تكن لهم لغة خاصة بهم، وإنّما مجرد أصوات شبيهة بصوت البشر[3] .

فكان مظهرهم مخيفا لدرجة أنّ الشعوب القويّة كانت تهرب من الفزع لتجنب لقائهم، لأن الفرد منهم كان عبارة عن كتلة من اللحم لا شكل لها وليس لها رأس، وبدل من العينين يوجد ثقبان صغيران ولا يستعملون النار في طهيّ طعامهم كما لم يكن لهم مسكن،

[1] محمد رفعت بك و محمد احمد حسونة، معالم تاريخ العصور الوسطى، ط . 1، مطبعة مصر لشركة مساهمة مصرية، مصر، 1925، ص 14 .

[2] محمد رفعت بك، المرجع السابق، ص15 .

[3] جوزيف داهموس، سبع معارك فاصلة في العصور الوسطى، تر : محمد فتحي الشاعر، ط.2، مصر، د.ت، ص، 25.

فهم رحالة وتجنبوا بناء المقابر لأنّهم شعوببدوية، كما كانوا شغوفين بالذهب والثروة وإعتمدوا على الخيل بشكل أساسي في حياتهم لأنّهم يقضون معظم وقتهم على ظهر الخيل[1].

كان يحكمهم القائد أتيلا الهوني عند إقترابهم من الإمبراطورية الرومانيّة وخلال ضغطهم عن القوط الغربيين الّذين كانوا من القبائل المتواجدة على حدود الإمبراطورية، وهم إحدى الشعوب الجرمانية البربرية الّتي هددت أمن الإمبراطورية الرومانية[2] .

وهم من أشهر القبائل الجرمانية وذلك بسبب إنقسامهم إلى غوط شرقيين وغربيين، فالقبائل الأولى إتجهت نحو البحر الأسود والبلطي والألب أمّا الغوط الغربيين فإنتشروا بين الألب والراين، وأساس هذه التسميّة والتّقسيم هو الوضع الجغرافي لفروع هذه المجموعات رغم تشابه هذه العناصر في كثير من النواحي، إلاّ أنّهم اختلفوا في بعض العادات والتقاليد[3].

فقد كان أول إصطدام بين قبائل الهون بقيادة أتيلا الهوني (395_453) الّذي قاد قبيلته وعاصمته ما يسمى هنغاريا اليوم، وكان العدو المخيف للإمبراطوريتين الرومانية الغربية والشرقيّة[4] . مع الغوط الغربيين والشرقيين الّذين تمّ ضمهم تحت سيادة الهون.

أمّا الغوط الغربيون فأتجهوا صوب أقاليم الإمبراطورية الرومانية، فقدموا طلب إلى الإمبراطور فالنز[5] الّذي كان يقيم في القسطنطينية في عام 376 م والّذي كان في أنطاكيا مشغولا بحرب الفرس ومحتوى هذا الطلب يتضمن الدخول لأراضي الإمبراطورية وعبور الدانوب فرارا من خطر الهون الّذين عبروا وإقتربوا من غربي نهر الدنستيرومهاجمتهم.

---

[1] جوزيف داهموس، المرجع السابق، ص.26.

[2] ستانلي لبن بول، كلاسيكيات التاريخ، تر : علي الجارم، د.ط، الدار المصرية اللبنانية، مصر، د.ت، ص.30 .

[3] إبراهيم علي طوخان، دراسات في تاريخ أوروبا في العصور الوسطى، ج.1، مكتبة النهضة المصرية، مصر، 1958، ص.6.

[4] تيري إيغلتون، أوهام مابعد الحداثة، تر: ثائر ديب، ط.1، المركز العربي للأبحاث، قطر، 2001، ص.48 .

[5] فالنز: (328–378) هو إمبراطور روماني في الإمبراطورية الشرقية بين (364–378 م) وهو أخ الإمبراطور فالنفيان الأول للإطلاع انظر موسوعة ويكيبيديا.

إذ لم يعد بإستطاعة الغوط البقاء في أماكنها محدقين بخطر الهون الّذي يقترب منهم يوما بعد يوم حيث شرح الغوطيين مدى خطورة الهون للإمبراطور ووعدوه بأن يكونوا من رعاياه المخلصين [1] .

فوافق الإمبراطور على الطلب، ويمكن تلخيص أهمّ الدوافع الّتي جعلت الإمبراطور فالنز يقبل للغوط الغربيين بالإستقرار في الإمبراطورية الرومانية مايلي :

- الإستفادة منهم كحاجز عسكري لصدّ هجمات الهون.
- إمكانية الإستفادة منهم في الزراعة.
- لتقوية المذهب الآريوسي الّذي كان يعتنقه الإمبراطور فالنز لأن قبائل الغوط إعتنقوا المسيحيّة وفق المذهب الآريوسي[2].

وبدأ النهر يموج بأعدادهم الزاخرة فقد استخدموا الألواح الخشبية السميكة والبراميل والقوارب المنفوخة، ولم يتمكن الرومان من تعدادهم أثناء العبور وتم ذلك في ربيع 376 واستقروا في منطقة دورستورم وهي بلغاريا الحديثة ولم يكن القوط يستقرون فيها حتّى شعروا بسوء معاملة الرومان لهم.

فإحتكروا عليهم المواد الغذائيّة وبيعها للغوط بأسعار خيالية باهظة لدرجة أنّه كان القوط يدفع عبدا من عبيده ثمنا لرغيف الخبز الواحد أو عشرة أرطال من الفضة نظير الحصول على ماشية للذبح، لم يحتمل القوط هذا الوضع فقرروا الخروج ضد فالنز الإمبراطور[3].

2- قبائل الفرنجة والوندال :

[1] إبراهيم علي طرخان، المرجع السابق، ص52 .

[2] رائد سامي حديد، المرجع السابق، ص13.

[3] إبراهيم علي طرخان، المرجع السابق، ص53 .

لقد ظهر خلال النصف الأول من القرن الثالث الميلادي الفرنجة في مجموعتين هما: الفرنجة البحريون (الساليون) والفرنجة البريون (الريبواريون) الّذين اجتاحوا إقليم الغال في 253 م وتمكن الأباطرة الرومان من طردهم، وبعد مقتل ابن الإمبراطور قاليريانوس واتجهوا مرة ثانية إلى إقليم الغال، و استطاع الإمبراطور برويس 276-282 م القضاء على خطر الفرنجة ببلاد الغال و أنزلهم إلى مرتبة العبودية، وقد أجزم معظم المؤرخين بأنّ حركة الفرنجة كانت حركة توسعية أكثر منها حركة هجرة تتصف بطابع الغزو.

ويبدو أنّ العلاقة بين الإمبراطورية الرومانية والفرنجة لم تكن كلها عدائية والدّليل على ذلك إنضمام بعض الفرنجة لصفوف الرومان ضد كل من الوندال و الاليماني وذلك طبقا لرواية المؤرخ جريجورى في كتابه "تاريخ الفرنجة" [1]، أمّا بالنسبة للوندال فيرجع أصلهم إلى الجرمانيين الّذين يطلقون عليهم اسم الألمان في عصرنا الحالي زحفوا على اسبانيا في القرن الرابع الميلادي فاحتلوها و أقاموا بها دولة عظيمة، ولمّا ضعفت الدولة الرومانية صارت تهاجمها القبائل المتبربرة من شمال أوروبا وتستولي على أراضيها وكان من جملة القبائل الّتي هاجمت الإمبراطورية الرومانية قبائل الوندال .[2]

ففي فترة تمرد الحاكم العام الروماني "بونيفاس" على الإمبراطورية الرومانية في روما طلب الإستعانة من الوندال بقيادة جينسيريك، كانالوندال في ذلك الوقت يملكون القوى العسكرية الرهيبة المكونة من أسطول ضخم من السفن الحربية، وتعداد هائل من القوى البشريّة ممّا حفزهم لتلبية طلب الحاكم ودخلوا المنطقة بعزيمة الإستيلاء لا الإستعانة، وهذا

[1] أحمد غانم حافظ، الإمبراطورية الرومانية من النشأة إلى الانهيار، د . ط، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، مصر، 2007، ص .174، 175 .

[2] علي محمد الصّلابي، صفحات من التاريخ الإسلامي في الشمال الإفريقي صفحات مشرقة من التاريخ الإسلامي، ج . 1، مكتبة الثقافة الدينية، د .ت، ص 158 .

ما جعل كلا الدولتان الشرقية والغربية تخشاهم [1]، فقد نهب "جنسيرك" روما نهبا فضيعا سنة 455 وأصبح الوندال أصحاب السيادة في تلك الجهة [2].

وفي أواخر القرن الرابع الميلادي تمكن القوط الغربيون بقيادة ألاريك السيطرة على القسم الغربي من الإمبراطورية الرومانية، بما قدموه من خدمات أوصلت الإمبراطور الروماني تيودوسيوس إلى العرش وبعد موت الإمبراطور عام 395 م أصبح ألأريك –زعيم القوط الغربيين–أقوى قائد في غرب أوروبا ووسطها، فاغتنم الفرصة وحاول السيطرة على روما و نجح في ذلك عام 410 م في مأساة لايزال يتذكرها التاريخ الأوروبي.

خلال هذه الفترة كانت الدولة الرومانية قد سمحت لقبائل الوندال الهمجية – الّتي تقطن بشبه الجزيرة الإيبيرية – بالإستقرار في منطقة الشمال الغربي من الجزيرة بشرط ألاّ تهدد استقرار المناطق الأخرى، غير أنّ كثرة القبائل وهمجيتها وضعف الدولة الرومانية جعل هذه القبائل تسيطر على كل الجزيرة تقريبا وتهدّد بلاد الغال (فرنسا حاليا) إضافة لذلك تخريبها الهمجيّ [3].

فقد كان أوّل هجوم للوندالبين على إيطاليا عام 405 ولكن ستيلك وصدهم، وفي العام الموالي هاجمت موجة أخرى من الوندالبين بالتعاون مع قبائل السويفي منطقة الراين وعبرت بالقرب من ماينز وتوغلت في بلاد الغال حتّى البرانس، وفي عام 409 توجهوا من بلاد الغال إلى اسبانيا وتمكنوا في وقت وجيز من السيطرة على شبه جزيرة ايبيريا كلها وأرغمهم نقص العتاد إلى التصالح مع الإمبراطورية الرومانية في الغرب الأوروبي و أصبحوا حلفاء معها عام 411 فحصلوا على حق الإستيطان .

[1] نفسه، ص 159 .

[2] محمد رفعت و محمد احمد حسونة ، معالم تاريخ العصور الوسطى، ط. 1، نوفمبر سنة 1925، ص 17 .

[3] إيناس حسني البهجي، تاريخ دولة الأندلس، ط.1، مركز الكتاب الأكاديمي، عمان، الأردن، 2018، ص 14 ، 15.

احتل الوندواليون وقبائل السويفي المنطقة الشمالية الغربية من شبه جزيرة ايبيريا وهذا بناء على ذلك التصالح القائم بينهما بينما استوطنت قبائل السلنجيان منطقة الوسط، لكن اعتبروا كضيوف غير مرغوب فيهم، لذا في عام 416 كلف الإمبراطور قسطنطينوس الزعيم القوطي "واليا" بمهاجمة الوندواليين لكنه استدعاه قبل ان يكمن مهمته وهو في وشك القضاء عليهم وبذلك استطاع الوندال استرجاع قوتهم وهاجموا قبائل السويفي الّتي كانت تمد يد العون للرومان واحتلوا اسبانيا كلها.

كما استغل القائد الوندال يجايسيريك الفرصة عندما استنجدت به أرملة الإمبراطور قالنتيانوس الثالث الّذي أغتيل عام 455 فهاجم ايطاليا واحتل روما وبقي فيها أحد عشر يوما ونهب معابدها وكنوزها وخرّب جزءا كبيرا من مبانيها ومرافقها [1].

وبموت "ألاريك" انتهى الصراع في روما وخلفه أطاووف في زعامة القوط الغربيين وتطورت الأحداث إلى أن عيّنت الإمبراطورية الرومانية أطاووف في جنوب بلاد الغال، ثم سلطته على قبائل الوندال، فاستمر القوط الغربيين بالضغط وطرد قبائل الوندال إلى الجنوب وأثناء تراجعهم كانوا يدمّرون ما بقي من حضارة الرومان في شبه الجزيرة، حتّى فاز القوط الغربيون، ولم يمر الوقت الكثير حتّى ضعفت الإمبراطورية الرومانية [2].

بالإضافة لهجمات بريّة أخرى تعرضت لها بلاد الغال قادها قبائل البروجنديون والفرنجة الساحليين والألمان فسيطرا هذان الأخيران على الجانب الغربي لنهر الراين بينما توغل البورجنديون جنوبا ولكنهم هزموا على يد ايتيوس القائد الروماني على بلاد الغال، فأجبروا على الدخول في تحالف تعاهدي مع الإمبراطورية وسمح لهم بالمكوث في منطقة

[1] سيد أحمد علي الناصري، تاريخ الإمبراطورية الرومانية –السياسي والحضاري– ط.2، دار النهضة العربية، القاهرة، مصر، 1991، ص.474، 475.

[2] أحمد سيّد حامد آل برجل، 1000معلومة عن الأندلس –الفردوس المفقود– د.ط، القاهرة، د.ت، ص.22.

ساقوي وحول بحيرة جونيف، ولكنهم راحوا يتوسعون منذ عـــام 457 حتّـــى احتلـــوا وادي الرون كله حيث شكّلوا مملكة عرفت باسمهم [1].

وعلى العموم بقي البورجنديون حلفاء مخلصين للرومان فقد انضموا للحـــرب ضـــد أتيللا تحت قيادة ايتيوس وأدوا أداء حسنا، وهكذا توالت الضربات الّتي أضعفت كاهلها وأدت إلى اختفاء ملامح الحضارة الرومانية [2] .

إنّ الإمبراطورية الرومانية كالشّجرة الضخمة الّتي انبسطت وانتشرت جذورها القويّة في مختلف الإتجاهات، ممّا يستحيل ويصعب إنهيارها نتيجة لعامل واحد أو سبب بعينه، لـــذا من المؤكد أنّ كل من الفوضى والفساد اللّذان سادا داخل الإمبراطورية إضافة إلى الهجومات الجرمانية البربرية ساهمت في إنحطاط و اضمحلال الإمبراطورية الغربيّة.

[1] سيّد أحمد علي الناصري، المرجع السابق، ص476.

[2] نفسه، ص 477.

الفصل الثالث

نتائج سقوط روما وآراء المؤرخين حول انهيارها

المبحث الأول : انعكاسات سقوط روما

1- الأثر على العالم ما بعد أوربا الرومانية:

لم تكن التحديات التي واجهتها الإمبراطورية الرومانية في القرون الباكرة بعد الميلاد تحديات سياسية واقتصادية وعسكرية فقط، لقد وصلت تلك التحديات إلى مستوى أعمق من ذلك عندما تغلغلت في المكون الثقافي والحضاري الذي اصطبغت به أوروبا لعدة قرون منذ أن صارت جزء من العالم الروماني.

لقد انقلبت الموازين رأسا على عقب في عالم ما بعد أوروبا الرومانية، حيث استطاعت الشعوب البربرية الجرمانية أن تفرض واقعا على الأرض ورسمت خارطة جديدة لأوروبا بعدها استولت على الغرب الروماني بما فيه إيطاليا نفسها، كانت أوروبا الجديدة التي ظهرت هي مزيج يتألف من عدة عناصر هي: الممالك الجرمانية الحديثة النشأة، والتراث الروماني القديم، والمسيحية الكاثوليكية.[1]

قامت الممالك الجرمانية على ست ممالك في غرب أوروبا على أنقاض الإمبراطورية الرومانية وهذه الممالك نذكرها كما يلي:

مملكة أدواكي في إيطاليا، الوندال في شمال افريقيا، والقوط الغربيون من اللوار حتى جبل طارق، والبرجنديون في وادي الرون ووادي السلؤون، دولة الفرنجة على المز والراين الأدنى ومملكة السويخي في الجهات المعروفة حاليا بأمم البرتغال وغاليسيا ومن أهم هذه الممالك الست الفرنجة التي يعتبر قيامها أهم حدث في تاريخ الغزوات الجرمانية لأنها كانت حركة توسعية أكثر منها هجرة تتصرف بطابع الغزو[2].

1 محمد جمال مبارك أحمد علي، دور الشعوب الجرمانية في حضارة الغرب بعد سقوط الإمبراطورية الرومانية الغربية، مجلة كلية الادب جامعة بورسعيد، مصرن العدد 17، جانفي 2021م، ص313.

2 محمد الستي، الثورة وبريق الحرية، د ط، الأوهم للنشر، القاهرة، 2017، ص 46

وقد احتفظ الفرنجة بأصولهم وحضارتهم وحيويتهم الجرمانية بينما ذابت بقية الشعوب الجرمانية في المحيط اللاتيني الذي استقرت فيه وقد اعتنق الفرنجة المسيحية، فاتجهوا إلى المذهب الاثناسيوسي مخالفين بذلك بقية الشعوب الجرمانية التي ظلت في الغرب بسبب أريوسيتها، فاكتسب بذلك ملوك الفرنجة ثوب حماة المسيحية ورجالها في الغربة، ممّا مهد لإيجاد نوع من التحالف بين البابوية وملوك الفرنجة الامر الذي كان له ابعد الأثر في المستقبل وفي مستقبل أوروبا في العصور الوسطى.[1]

وحقيقة ان العالم الروماني الغربي ظل بدون امبراطور منذ عام 476م حتى تتويج شارلمان[2] عام 800م لكن عدم وجود أباطرة في الغرب طوال تلك القرون الثلاثة لا يعني بأي حال زوال فكرة الإمبراطورية، فتلك الأوضاع أتاحت للكنيسة الرومانية الغربية فرصة السمو والارتفاع فبحكم الظروف التي أحاطت بنهاية التاريخ القديم وبداية العصر الوسيط أصبحت الكنيسة الرومانية مستقلة عن الدولة ولقد اعتبرت نفسها الوريثة الشرعية للإمبراطورية القديمة.

ولم تنسى روما أبدا أن القسطنطينية هي "روما الجديدة" أو "روما ثانية" وبمضي الوقت أخذت كنيسة روما تتفوق تدريجيا على كنيسة القسطنطينية وباقي الكنائس المسيحية، وأصبح لأسقفها مركز الصدارة بين أقرانه هكذا أخذت أسقفية روما في النمو حتى تحولت في آخر القرن السادس إلى بابوية لها هيبتها وكيانها ومقوماتها وطابعها الخاص بها، وكان جريجوري أول بابوات كنيسة[3] روما وهكذا حلت قوتان مكان الامبراطور وهم القوة الروحية (البابوية) وقوة زمنية (الجرمان)[4].

1محمد الستي، المرجع السابق، ص46.

2شارلمان: هو ملك الفرنجة وحاكم امبراطوريتهم بين الاعوام 768و800للميلاد، وهو امبراطور للإمبراطورية الرومانية المقدسة بين 800 و 814 م، و الإبن الأكبر للملك بيبين الثالث من سلالة الكارولينجيين.

3 علية الجنزوري، البابوية والامبراطورية الرومانية، د.ط، دار الفكر العربي، القاهرة، 1946م، ص5.

4 كلود ديلماس، تاريخ الحضارة الأوروبية، تر، كوليت حبيب، د.ط، الفن الحديث العالمي، 2012، ص26.

بالتالي أصبح البابا رأس الكنيسة الكاثوليكية ومصدر ولايتها والحارس الأول على قوانينها ونظمها وعقائدها ومعلم أتباعها المعصوم من الخطأ، هذا فضلا عن كون البابا نائب المسيح لأنه يستمد سلطته من تعيين المسيح له مباشرة[1] وبدأت الحركة الدينية والتبشيرية في أوروبا واستمر الباباوات في روما يدفعون بحركة تبشيرية بالمسيحية الكاثوليكية في الاتجاه الشرقي من أوروبا بعد أن تم تأصلها في فرنسا ووصلت المسيحية إلى ألمانيا في القرن الثامن الميلادي.[2]

2- الأثر على اللغة :

شهدت أيضا الخارطة اللغوية لأوروبا بعد سقوط الإمبراطورية الرومانية في الغرب عام 476م العديد من التّغيرات الجديدة كما عانت اللغة اللاتينية في بعض الأماكن في الغرب الأوروبي من طغيان اللسان الجرماني، فقد أزاحت عناصر الفرنجة اللغة اللاتينية من مناطق عديدة في بلاد الغال إلى جانب ذلك فقد هيمنت اللغات الأنجلوسكسونية[3] على بريطانيا بسبب ضعف اللغة اللاتينية هناك، لكن بالرغم من انتشار لغات القوط والوندال والفرنجة وغيرهم داخل أراضي الإمبراطورية الرومانية الغربية إلّا أنّها لم تصمد أمام اللاتينية وزالت مع الوقت في نهاية الأمر، وهذا يدل على فقر الثقافة الجرمانية وعدم إعتمادها على أساس حضاري عريق قائم على فكر وعلم عميق مثلما هو موجود في التراث اللاتيني. [4]

المبحث الثاني: آراء المؤرخين حول إضمحلال روما :

1- رأي جونز وآخرون :

1عليه الجنزوري، المرجع السابق، ص5.

2عبد الحميد شرف، 14 قرنا من الصراع بين الشرق والغرب، د.ط، سما للنشر والتوزيع، الكويت، 2015، ص29.

3الأنجلوسكسونية: هي لغة سائدة استعملت في إنجلترا بين سنة 450م وسنة 1100 ومنها انحدرت الإنجليزية الوسطى ثم الإنجليزية الحديثة للاطلاع أنظر محمد التونجي- راجي الأسمر، المعجم المفصل في علوم اللغة (الألسنيات)، ج1، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت، ص506.

4 محمد جمال مبارك أحمد علي، المرجع السابق، ص326.

لقد تعددت الآراء واختلفت وجهات نظر المؤرخين فيما يخص أسباب سقوط روما وذلك الاختلاف حسب رؤية كل منهم وحسب المناخ الفكري والسياسيّ الّذي سيطر على العصر الذي عاش فيه، كما يمكن اعتبار أن ظروف المجتمع الروماني في القرنين الرابع والخامس الميلاديين نجمت عنها خمسة ظواهر هامة ساهمت بإسقاط الامبراطوريات أو النّظم السياسيّة وهي : الفوضى الفكرية، اليأس السياسي، العسر الاقتصادي، الظلم الإجتماعي، التسلط البيروقراطي.

وقد نتج عن هذه الظواهر ظهور طبقتين في المجتمع الروماني وهما: طبقة البرولتياريا الجائعة وهي الّتي هاجمها اليأس وبدأت في البحث عن الخلاص من مشاكل العالم المادية في دنيا السحر والخزعبلات ممّا أدّى إلى تدني الفكر والثقافة.[1]

أمّا الطبقة الثانية فهي طبقة الارستقراطية الحاكمة التي تحكمت في المجتمع عن طريق الأجهزة البيروقراطية وعن طريق نظام الإقطاع الّذي سيطرت به على الأراضي الواسعة بمن عليها من عبيد وفلاحين.[2]

ونذكر تفسيرات بعض المؤرخين لسقوط الامبراطورية من بينهم جونز <<كان لكل عصر تفسيره لاضمحلال وسقوط الامبراطورية >> ففي جوّ التوتر الديني بين الوثنيّة والمسيحيّة تبادل مؤرخو كل من الفريقين التّهم فقال زوسيموسzosimus أحد كبار مؤرخي القرن الخامس ومؤلف موسوعة التاريخ الجديد أن المسيحية هي المسؤولة عن تدني الأحوال الاقتصادية في الامبراطورية، وأن سقوط روما على يد الاريك هو رد فعل لغضب الآلهة الوثنية الّتي صنعت روما وبنت عظمتها ثم ألقى اللوم على الامبراطور قسطنطين وبسبب أنه المسؤول الأول عن هذا السقوط لأنه أحل المسيحية بدلا عن الوثنية.

1 دكتور أحمد غانم حافظ : الامبراطورية الرومانية من النشأة الى الانهيار، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، 2007، ص203.

2 المرجع نفسه، ص 204 .

ويرد أوروسيوس أن الرومان إبان عصورهم الوثنية لاقوا من الهزائم ما هو أقسى في العصر المسيحي إذا فلا ذنب للمسيحية في ذلك، ولكنّه يتنبأ بأن الله لن يترك البرابرة في غيهم بل سرعان ما سيهديهم ويتحولون إلى خدام للإمبراطورية.

ويعلن سالقيانوس في كتابة De gubematione Dei<<عن حكومة الله >> أن حكمة الله وحكومته ضد أي انعواج خاصة الانعواج الأخلاقي ويفسر سقوط الامبراطورية بأنه عقاب من الله بسبب الخطايا والضلال والانحراف الّذي يعيش فيه الرومان.[1]

أمّا القديس أوغسطين مؤلف كتاب مدينة الله فكان رأيه في سقوط روما الّتي شبهها بسقوط بابل كما جاء في التوارة– هو نتيجة الإرادة الإلهية التي تدير الكون وتوجه مصائر البشر حتى تنتصر مملكة الله الابدية وهذا مصير كل الدول والبشر.

أمّا المؤرخ الوثني المتسامح اميانوس ماركيلليوس MarceLLinus Ammianus فقد نسب المصائب الّتي حلت بالرومان إلى انعدام الوازع الأخلاقي عندهم.[2]

وفكرة توينبي هو أنه يرى أن تدهور الحضارات يرجع إلى الكلمة اليونانية Hgbris الّتي تعني الزهو أو الغرور والأنانيّة. إذ رأى أنه بعد التحول من النظام الجمهوري إلى الامبراطوري بدأت الامبراطورية الرومانية في النّمو بسرعة حتى وصلت إلى قمة نضوجها وقوتها وهنا بدأت لا تستجيب تماما للتحديات الداخلية أو الخارجية بعد أن كانت في مرحلة تكوينها قد استجابت لكل التحديات بنجاح كبير، كما فشلت في مواجهة تحدى الهجمات الخارجية (الفرس، الجرمان ...) وقد أدى عجر الحكومة عن الاستجابة للتحديات إلى

1 سيد أحمد علي الناصري : تاريخ الامبراطورية الرومانية السياسية والحضاري، الطبعة الثانية، دار النهضة العربية، القاهرة، 1991، ص 498.

2 نفسه، ص 498، 499.

إنهيارها، كما أنه رأى عجر الامبراطورية عن منافسة الكنيسة سبب لسقوطها لأن الكنيسة تولت الزعامة وكسبت ولاء الناس لها، بينما فشلت الامبراطورية في الفوز بهذا أو ذاك.[1]

أمّا المؤرخ إدوارد جيبون Edward Gibbon فقد رأى في كتابة الشهير ((اضمحلال وسقوط الامبراطورية الرومانية)) . أن تدهور روما واضمحلالها كان نتيجة طبيعة وحتمية فالرفاهية التي عاشها الرومان اثمرت مبدأ الاضمحلال – ولقد تضاعفت عوامل الدمار بامتداد الغزو وتوسع الإمبراطورية ويرى جيبون متفقا في ذلك مع توينبي أن الديانة المسيحية كانت من أهم أسباب سقوط الامبراطورية الرومانية لأنّها قضت على العبادات القديمة التي كانت الدعامة الخلقية للرومان، كما أنها ناصبت الثقافة القديمة العداء فحاربت العلم والفلسفة والأدب والفن وأتت بالتصوف الشرقي الواهن بدلا من الفلسفة الرواقية التي كانت متغلغلة بواقعيتها في الحياة الرومانية، وحولت أفكار الرومان عن واجباتهم وأغرتهم بالجري وراء النجاة الفردية عن طريق الزهد والصلاة، وشجعت أتباعها على الإمتناع عن أداء الخدمة العسكرية ويعد هذا كله انتصار للمسيحية .

قد وصف الكثير من المؤرخين ذلك الرأي بالضعف ومنهم "بينز" الّذي قال أن ذلك الإتهام الموجه للديانة المسيحية انما يعود لأيام القديس أوغسطيس 354 – 430 م بعد سقوط روما في أيدي الليرك ملك الغوط الغربيين 410 م .

2- رد كولتون وبعض آراء المؤرخين:

ولا يقل رد المؤرخ <<كولتون>> إقناعا عن رد باينز إذ ذكر أن المسيحية كانت كسبا حقيقيا للإمبراطورية الرومانية[2] فالمجتمع الروماني كان قد وصل إلى مرحلة تفشى فيها

1 أرنولد توينبي : مختصر في دراسة للتاريخ، ترجمة : فؤاد محمد شبل، ص18.

2 أحمد غانم حافظ، المرجع السابق، ص 213

الانحلال والمساوئ في الوقت الذي تدهورت فيه الأصالة في الآداب والعلوم والفنون وعهد بأمر الدفاع عن الامبراطورية إلى الجرمان والمتبربرين.[1]

يرى هود جكينThomas Hodgkin في كتابة <<إيطاليا وغزاتها >> بأن سقوط الامبراطورية الرومانية في الغرب بقدر ما كان قيام هذه الأخيرة وامتداد نفوذها إلى كل بلاد العالم المتحضرة نعمة جليلة للبشرية وعلى قدر تلك النعمة كان حكمها الطويل نقمة لعينة، رغم سلسلة الأباطرة المصلحين الذين اعتلوا عرشها مثل تراجان (98 – 117) وماركوس أوريليوس (161 – 180) .

لقد مهدت تلك الامبراطورية لانتشار المسيحية ولكن بعد أن طال عمرها وابتعدت عن الطريق المستقيم، حرمت تلك الشعوب حريتها وقضت على فضائل الرجل الحرب عد أن طال وقوعه تحت نير السلطة الغاشمة المستبدة وعندئذ حانت الفرصة للشعوب الجرمانية لتجدد شباب العالم الأوربي اذن بناء وسقوط الامبراطورية هو إرادة الله ولا راد لقضائه وحكمه.[2]

وأرجع سيمكوقتس simkhovitch سقوط الامبراطورية إلى الافلاس الزراعي الناتج عن انهاك التربة واهمال الحكومة لمشروعات تحسين الزراعة مثل: الري والصرف، وقلة الإنتاج وزيادة التكاليف وغلاء الضرائب مما شجع الناس على ترك المزارع، فتحولت إلى مراعي وقد لوحظ ذلك من قائمة الأسعار التي أصدرها ديوقلديانوس حيث لوحظ هبوط سعر اللحوم بينما ارتفعت اثمان المحاصيل الزراعية، ويضيف سيمكو قيتش إلى تفاقم خطر الأوبئة التي راح ضحيتها الآلاف من سكان الريف مما نتج عنه النقص الشديد في الأيدي العاملة خاصة في مجال الزراعة.

1 أحمد غانم حافظ، المرجع السابق، ص 214 .

2 محمود محمد الحويري، المرجع السابق، ص 189، 190.

ويرد الأستاذ جونز على أصحاب هذا الرأي بأنه يتضمن بعض الحقيقة ولـــيس كـــل الحقيقة لأنه بالفعل حدث هذا في بعض الحالات ولكن حكومة الامبراطورية اتخذت إجراءات لمعالجة ذلك مثل الإعفاء الضريبي للمعمرين الجدد للأراضي المهجورة، أمّا فيما غير ذلـــك فالأرض كانت جيدة والانتاج وفير بدليل أن الايجارات إرتفعت عـــن ذي قبـــل وبـــديل أن الرحالة العرب يتحدثون عن رخاء بعض الولايات الرومانية، ويضيف جونز أن هذا الـــرأي ربما قد ينطبق على العصور الوسطى.

كما يعترض على هذا الرأي باينز مبينا أن الدمار الزراعي لم يلحق بكـــل ولايـــات الامبراطورية وإنّما ببعضها فقط، ويضرب المثل ببلاد الغال حيث بقيت زراعتها مزدهـــرة حتّى القرن الخامس الميلادي ولكنه يلقي اللوم على نظـــام ادارة الأراضـــي الزراعيـــة لأن أصحاب الإقطاعيات الكبرى تركوا زمام الإدارة إلى وكلائهم وبقواهم في المدن يعيشون من دخلها فنتج عن ذلك اهمال هؤلاء الوكلاء وعدم حرصهم على رفـــع الانتـــاج أو المســـتوى للضياع[1].

أمّا بالنسبة للذين أرجعوا تدهور وسقوط الإمبراطورية سببها دمار الاقتصاد فيها فهم كثيرون ومنهم اندريه بيجانيول Andre piganioL الّذي لخص السبب فـــي نقـــص الايـــدي العاملة خاصة العبيد ثم الحروب الأهلية وأعمال التمرد المتعددة الّتي قـــام بهـــا الجنـــرالات ومحاولتهم الإنفصال والإكتفاء ذاتيا بمقاطعاتهم ممّا أدّى إلى عودة النظام الاقتصادي البدائي وتدمير رأس المال بالطاقة المنتجة، ثم تدهور مركز روما التجاري بسبب فقـــدها الســـيطرة على الطرق الدولية للتجارة نتيجة لظهور الفرس كقوة.[2]جديدة في منطقة الخلـــيج والشـــرق الأوسط.

1سيد أحمد علي الناصري، المرجع السابق، ص 500.

2 نفسه، ص 501.

ونتيجة لنجاح طريق الراين – الدانوب ومنافسته لطريق الخليج – البحر المتوسط وذلك بعد حكم تراجان وأخيرا أورد بيجانيول معونة الدولة في ادارة إقتصادها عندما حاولت التّدخل في المشروعات وقامت بدور الرأسمالي المستغل وذلك بتجنيد العمال إجباريا واستغلالهم شر استغلال وفرض الضرائب الباهظة على الفلاحين ممّا أدى إلى الهروب الجماعي أو تسليم أراضيهم إلى الإقطاعيين الذين كان معظمهم لا يدفعون الضرائب نظرا لمراكزهم الاجتماعية العالية.

وبالرغم أنّ الامبراطورية حاولت في أيامها الأخيرة التخفيف من قبضتها على الاقتصاد ووقف زحف الاقطاع إلاّ أن عدم الاستقرار (هجوم البرابرة الجرمان والقوط على حدود الامبراطورية) أغرقها في حروب باهظه ومكلفة فاضطرت إلى رفع الضرائب لتعويض نفقات الحرب فتدهور الاقتصاد بينما فشلت الامبراطورية في مقاومة الغزاة.[1]

يعتبر الفيلسوف والمؤرخ الالماني اوزوالد شبنجلر صاحب أحد أهم هذه الآراء والتي ضمنها مؤلفة declineofthiwast أو تدهور الغرب وهو من أشهر ما صدر في أوائل القرن العشرين ونهاية عام 1918 وهو كتاب لا يمكن أن نضعه بالبحث العلمي المنظم وذلك نظرا لإتّساعه الهائل إذ يتحدث فيه عن جوته وبرناردشو وانيشتاين، كمّا يتحدث عن الفن الصيني والنحت الإغريقي والموسيقى وتحدث أيضا على عالمي الاحياء والرياضيات.[2]

يرى أرنولد توينبي أن من أسباب تدهور المجتمع الروماني وسقوط الامبراطورية الرومانية هو التحول من النظام الجمهوري إلى الامبراطوري حين وصلت إلى أوج قوتها فبدأت لا تستجيب للتحديات الداخلية أو الخارجية بعد ان كانت في مرحلة تكوينها قد إستجابت لكل التحديات بنجاح كبير فقد واجهت الامبراطورية الرومانية تحدي من

[1] سيد أحمد علي الناصري، المرجع السابق، 501 .

[2] حسين الشيخ :دراسات في تاريخ الحضارات القديمة– الرومان، دار المعرفة الجامعية للطبع والنشر والتوزيع، الاسكندرية، مصر، 2005، ص151 .

البروليتاريا الداخلية (الجماهير العادية التي تحكمها أقلية تسيطر بالعنف) أمّا التّحدي الثـــاني فيرى توينبي أن الفشل في الاستجابة للحضارة الرومانية كان متمثلا في الشعوب المحيطـــة بالإمبراطورية مثل الجرمان والفرس والعرب وغيرهم، وقد أدى عجر الحكومة الرومانيـــة عن الاستجابة للتحديات الداخلية والخارجية إلى انهيار الامبراطورية.[1]

إذن نرى أنّ سقوط الامبراطورية الرومانية سنة 476م في الغرب الأوربي لم يكن بسبب غزوات الجرمان المتوالية فحسب بل اتت ايضا نتيجة لأسباب التّحلل والتّشتت من الداخل منذ القرن الثالث الميلادي، وهنا يتبيّن لنا أنّ تلك الأسباب المؤثرة كانت بطيئة وغير مباشرة، رغم محاولة الأباطرة الغيورين على وحدة الامبراطورية القضاء عليها، ومن المنطقي يستحيل القضاء على أية حضارة عظمى من الخارج ما لم تكن تلك الحضارة قد بادرت في القضاء على نفسها من الداخل.

1حسين الشيخ ، المرجع السابق، ص153.

خاتمة

خاتمة:

إنّ الإمبراطورية الرومانية لم تكن مجرد قوة فرضت نفسها على العالم، بل كانت بمثابة حضارة عظيمة ومهمة أثرت في العالم بأكمله في الكثير من المجالات والتي تتمثل في الصناعة والتجارة والجيش وسقوطها استغرق قروناً، وهناك عدة عوامل ساهمت في إنهيارها منها :

- عدم كفاءة الجيش بالإضافة إلى قلة عدد الأشخاص الّذين بقوا في الجيش.
- إنتشار الفساد والظلم في الإمبراطورية ففضل الكثير من الشعب الروماني أن يهاجروا الإمبراطورية مما أدى إلى قلة عدد سكانها.
- ضعف وإنخفاض في الصحة بسبب إنتشار مجموعة كبيرة من الأمراض والأوبئة.
- كثرة الصراع على السلطة ومناصب الأباطرة بالإضافة إلى النزاعات الداخلية وكثرة اللهو وهذا ما أدى إلى ضعف وإنهيار النواحي الإقتصادية.
- حدوث العديد من التغيرات الدينية في الإمبراطورية.
- الضغط القوي والهجمات الكثيرة الخارجية الّتي كان يقوم بها البرابرة.
- فقدان القدرة على الدفاع عن ولايات الإمبراطورية.
- إنّ التّحلل والتّشتت من الداخل منذ القرن الثالث ميلادي وغزوات الجرمان المتوالية ساهمت في اضمحلال و إندثار الإمبراطورية الرومانية الغربية.
- تدهور النشاط الإقتصاديّ وتضاءل نفوذ طبقة السناتووإنعدام النظام بين صفوف الجيش خاصة حينما إستعان الأباطرة بالجند المرتزقة و أدخلوا البرابرة في صفوف الجيش.
- لعبت الفرق العسكرية دورا هاما في تنصيب الأباطرة و هذا بعد إختفاء السلطة المركزية وصارت الولايات تحت حكم زعامات محلية .

- الفساد و الفوضى السائدان داخل الإمبراطورية وكذلك الهجمات الخارجية (الجرمانية الهون، القوط الغربيون، الوندال، الأليماني، البرجنديين، الفرنجة) أدّت إلى ضعفها وخمولها ممّا إنعكس على جميع نواحي الحياة الإقتصادية والسياسية والإجتماعية.

إذن هناك عدة أسباب تضامنت جميعا لإسقاط الإمبراطورية، سواء كانت هذه الأسباب طبيعية أو جتماعية أو سياسية أو إقتصادية أو حربية أو دينية ؛ولوحظ أنّ هذا الإنهيار كان على مدار أربعة قرون و بلغ ذروته في التدهور النّهائي للإمبراطورية الرومانية الغربية في سبتمبر476 م.

التاسع

الشكل 01

الامبراطورية الرومانية الجهة الغربية

سيد أحمد الناصري، تاريخ الامبراطورية الروماني السياسي والحضاري ، ط2، دار النهضة العربية، القاهرة، مصر ، 1991،ص470

الشكل 02

الامبراطورية الرومانية (جبهة الراين والدانوب)

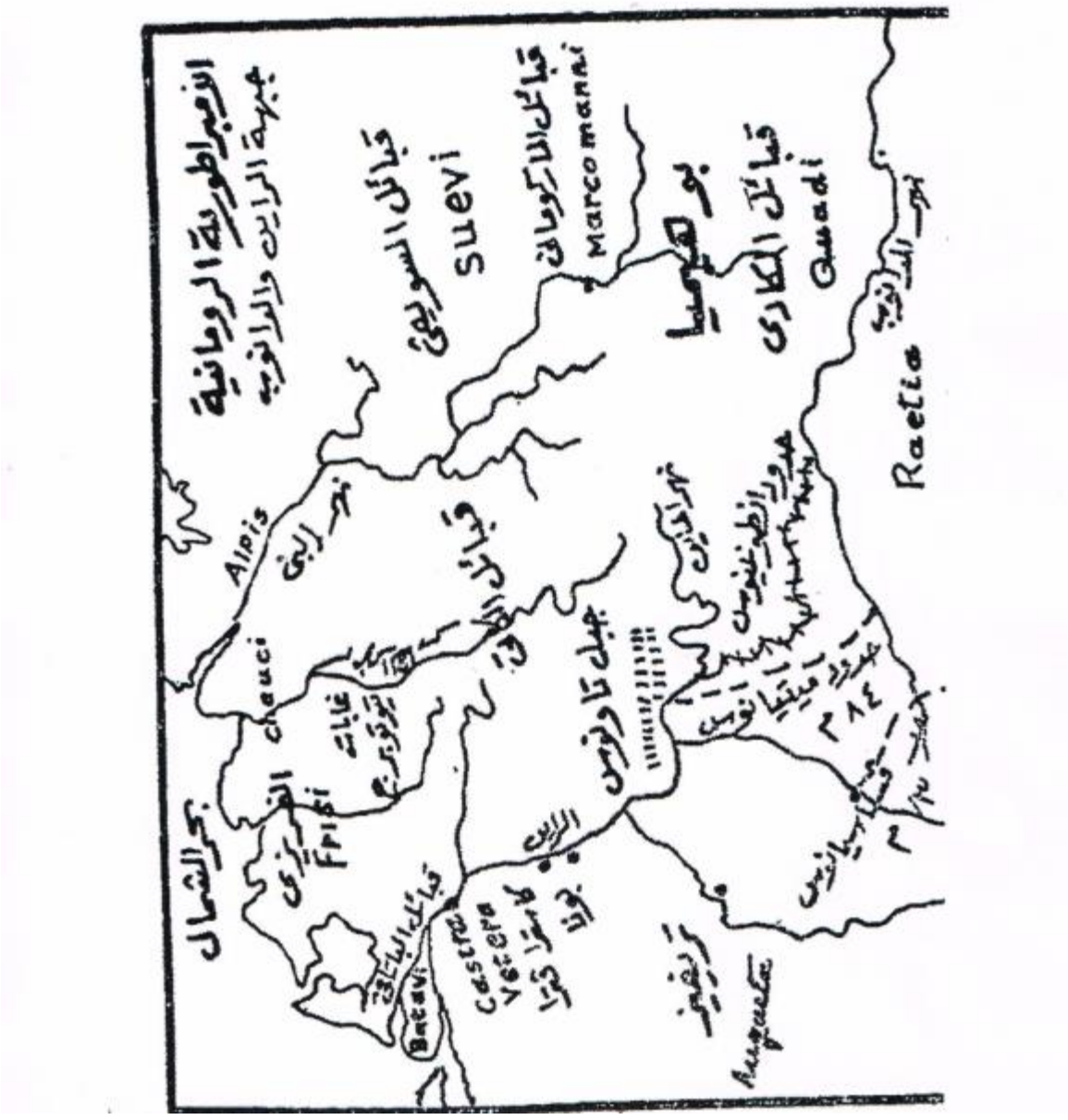

سيد أحمد الناصري، المرجع السابق ، ص 88 .

الشكل 03

الامبراطورية الرومانية في القرن الرابع ميلادي

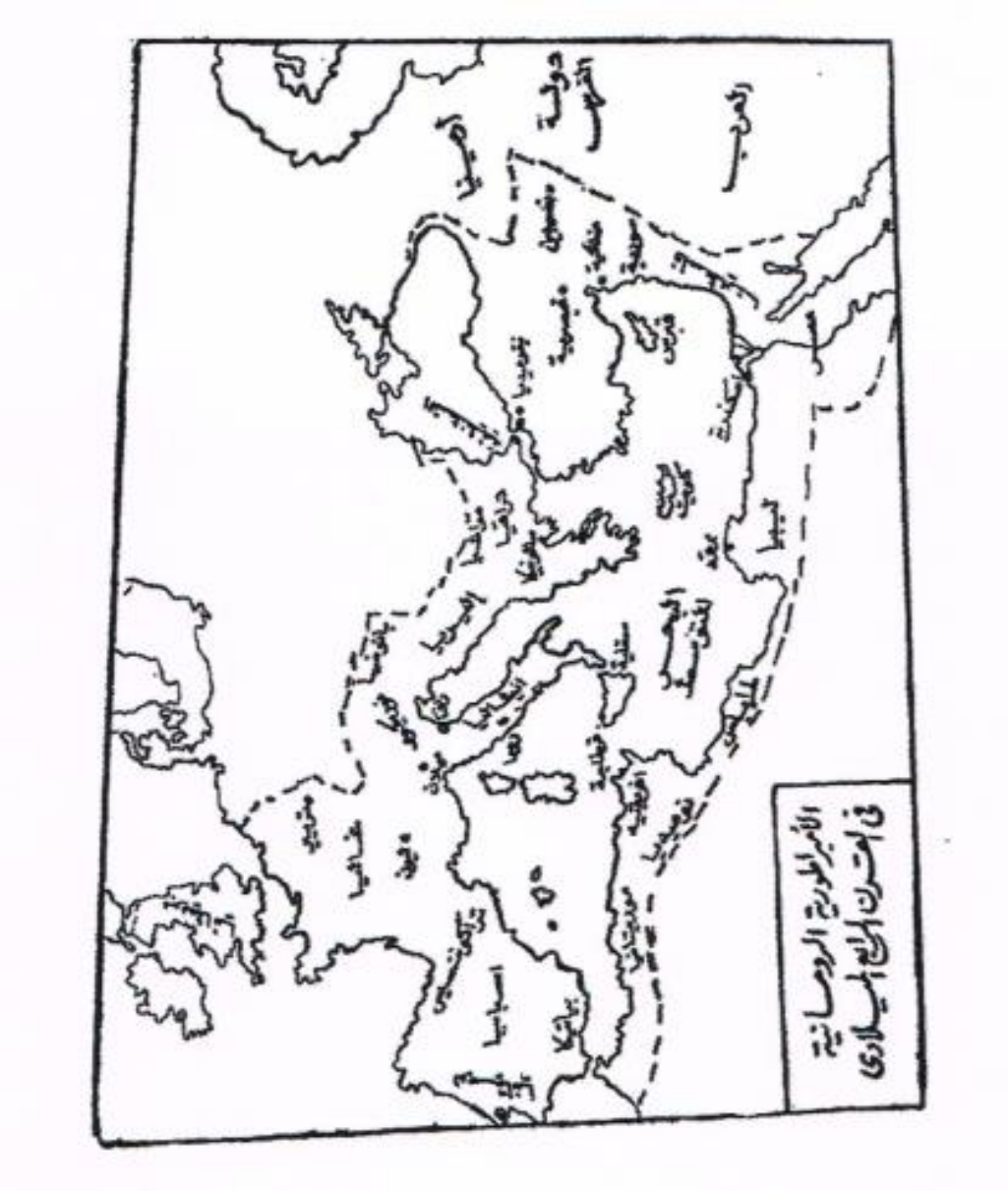

سعيد عبد الفتاح عاشور ، تاريخ أوربا في العصور الوسطى، دار النهضة العربية، بيروت، 1976، ص 09.

الشكل 04

الامبراطورية الرومانية عام 311م

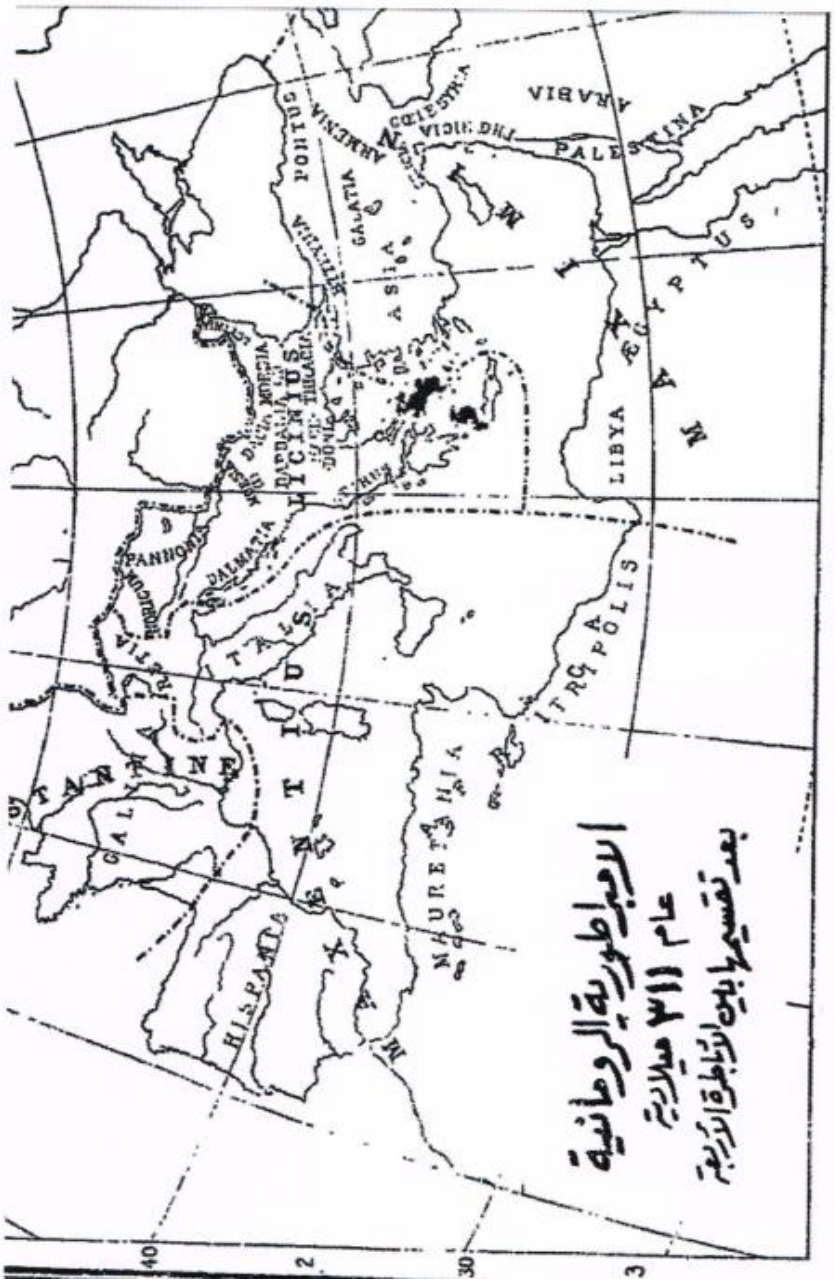

سيد أحمد علي

الناصري ، المرجع السابق،ص405

الشكل 05

الطرق التجارة الرئيسية في لإمبراطورية الرومانية (بداية القرن الرابع)

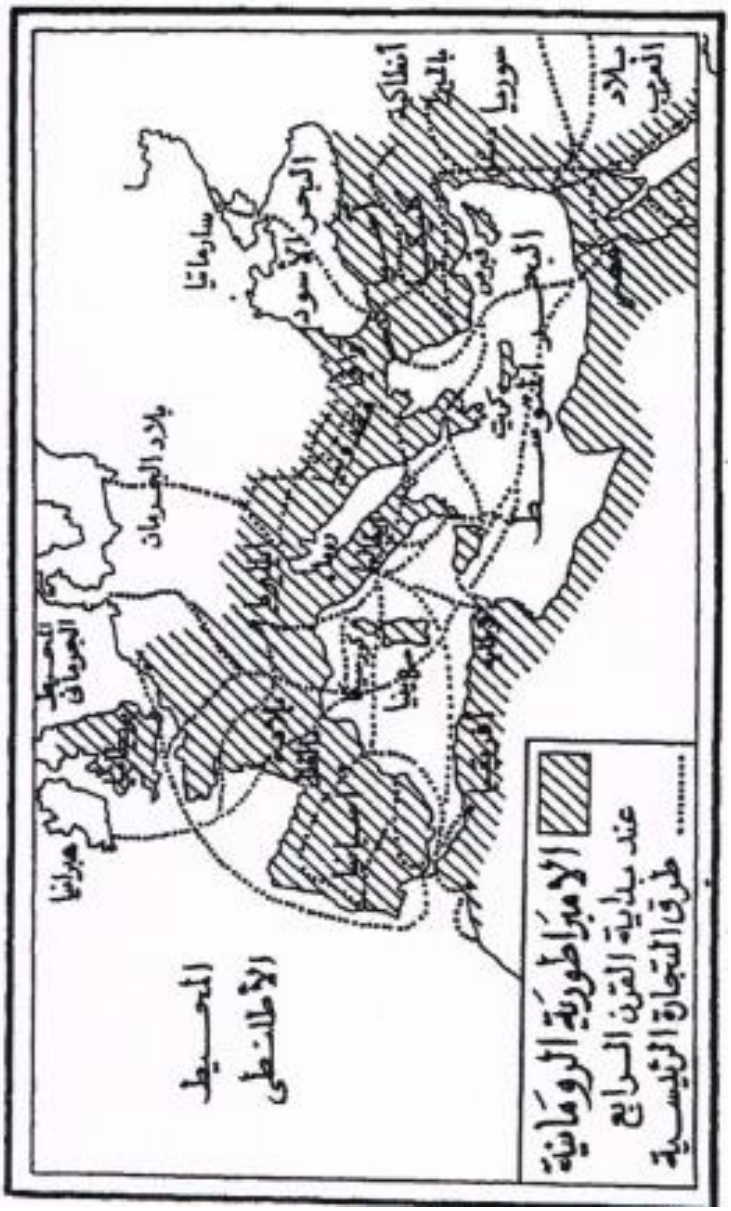

سعيد عبد الفتاح عاشور، المرجع السابق، ص 56.

الشكل 06

غزو الامبراطورية الرومانية

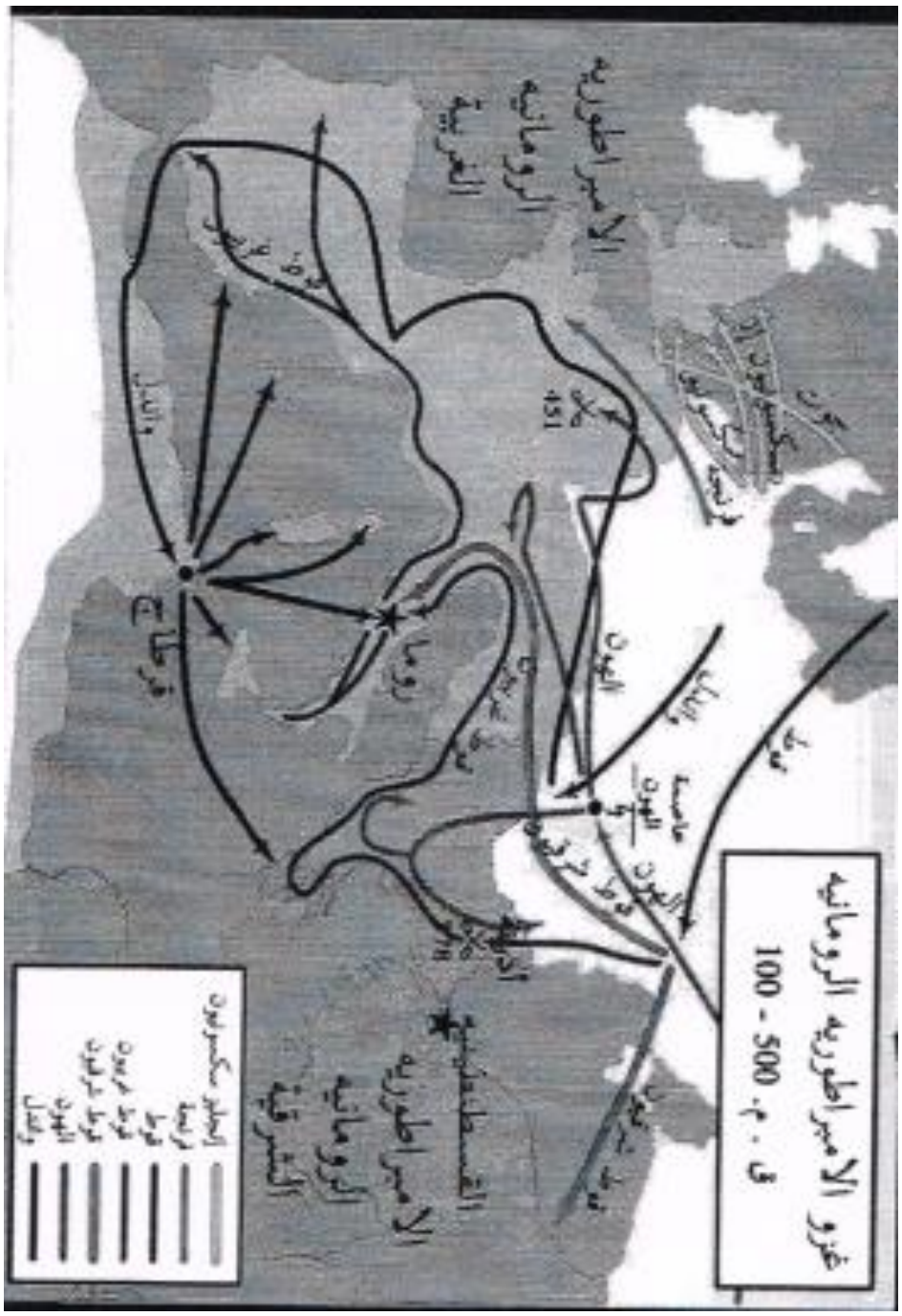

رغزو الإمبراطورية الرومانية ،.https://ar.wikibedia.org(enligne),03-03-2021

الشكل رقم 07

خريطة الممالك الجرمانية الجديدة في أوربا نهاية القرن الخامس ميلادي

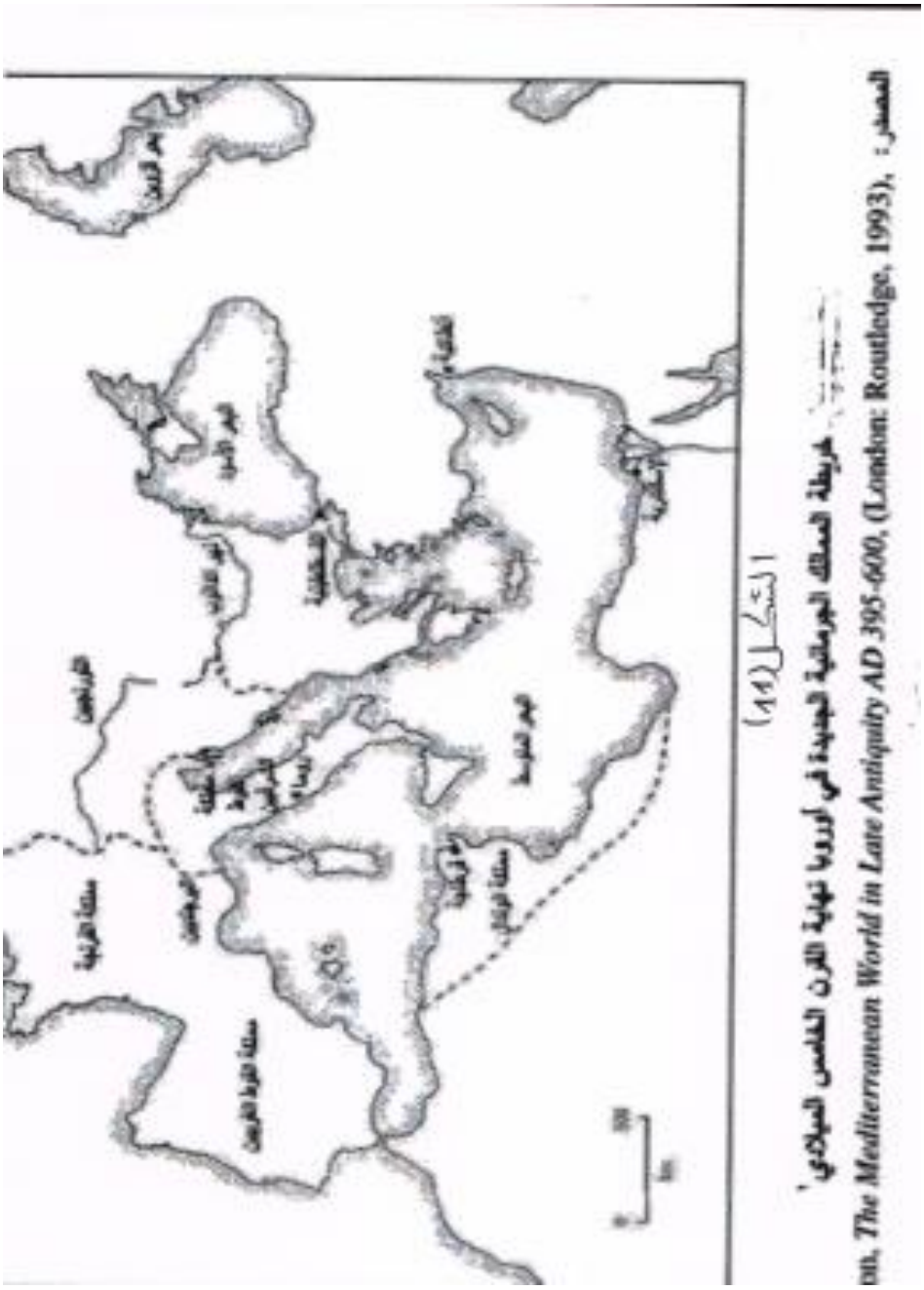

المصدر: خريطة الممالك الجرمانية الجديدة في أوربا نهاية القرن الخامس الميلادي'
Roth, The Mediterranean World in Late Antiquity AD 395-600, (London: Routledge, 1993),

الشكل(11)

محمد جمال مبارك أحمد علي، دور الشعوب الجرمانية في حضارة الغرب بعد سقوط الإمبراطورية الرومانية الغربية ،مجلة كلية الآداب ،العدد17،جامعة بورسعيد،2021،ص321

الشكل 08

تقسيم الامبراطورية الرومانية عام 395م

أحمد السحالي اصلاحات قسطنطين الأول الدينية والسياسية في أوربا (306-337م)، أطروحة لنيل شهادة الماجستير، تاريخ قديم، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، قسم التاريخ، جامعة الجزائر02، 2014، ص 85.

الشكل 09

أسلحة رومانية

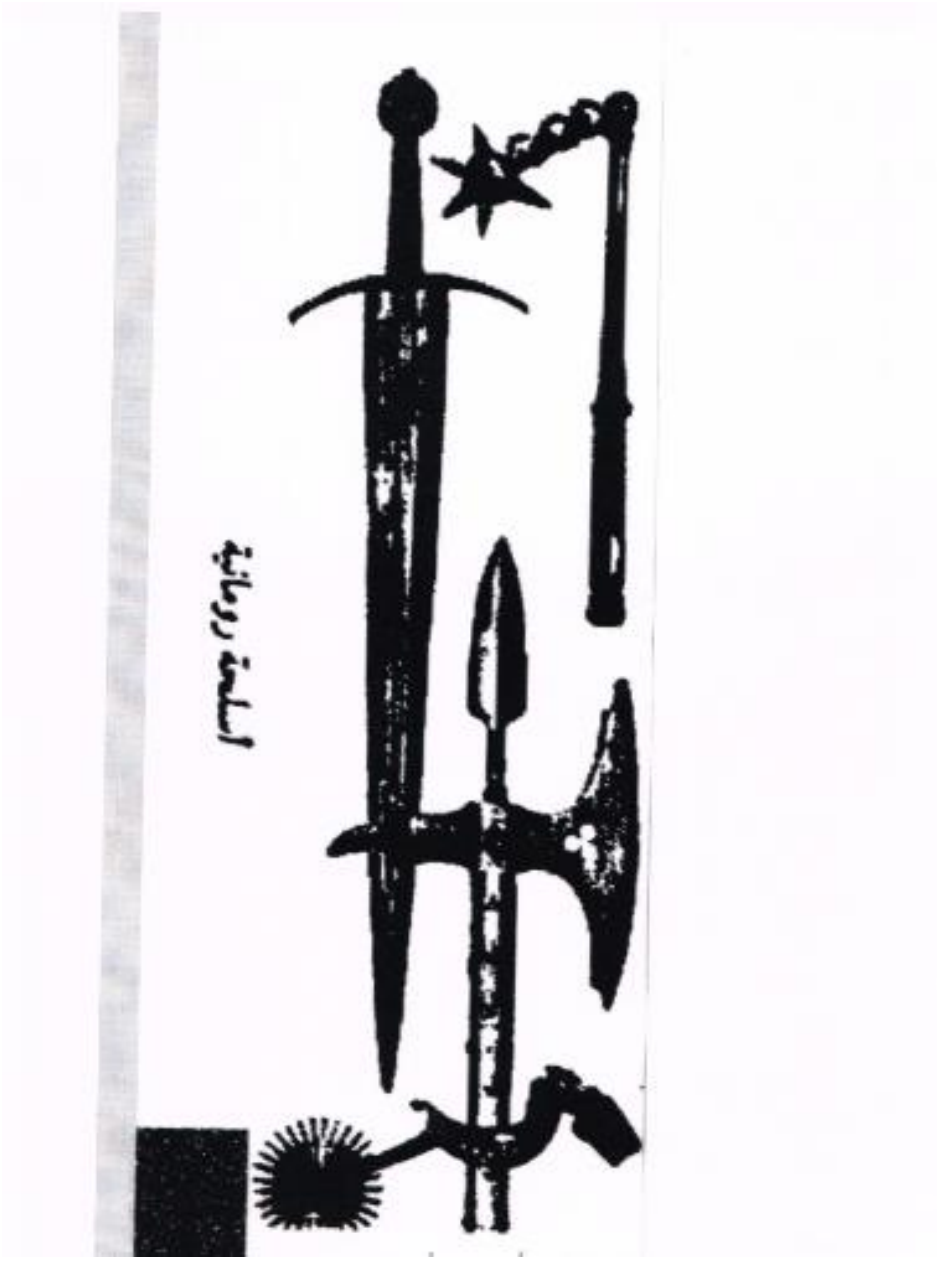

د. اسحاق عبيد، أوربا في العصور الوسطى المفهوم والحضارة ، د ط، دار الفكر العربي، القاهرة، 2006، ص 20.

الشكل رقم 10

تشكيل عسكري لجيش روماني

اسحاق عبيد، المرجع السابق، ص 27

الشكل رقم 11

حرب اتيلا مع الرومان

اسحاق عبيد، المرجع السابق، ص .36

الشكل رقم 12

عملة بوجه دقليانوس

Veryonis speros ,byzantium and Europem, 1967,London,1967,p20

الشكل رقم 13

أغسطس مؤسس الامبراطورية الرومانية(هدية من متحف الفاتيكان)

سيد أحمد علي الناصري، المرجع السابق، ص21.

الشكل رقم 14

النسخة الرسمية من تماثيل أغطس التي انتقاها لتقام على طول الامبراطورية وعرضها

سيد أحمد علي الناصري، المرجع السابق، ص125

الشكل رقم 15

ماركوس أوريليوس (وكأنه المسيح) يقدم الأضاحي فوق تل الكابيتول في حضور الكهنة- لوحة من قوس النصر الخاص به

أحمد علي الناصري، المرجع السابق، ص282

الشكل رقم 16

أباطرة الحكم الرباعي : ديوكلتيانوس ومكسيميانوس، غاليريوس وكونستانس كلور

(القرن الرابع)

أندريه إيمار وجانين أبوايه، تاريخ الحضارات العام –روما وامبراطوريتها، مجلد 2، ط 2، دار منشورات عويدات ، بيروت باريس، 1986، ص،403.

الشكل رقم 17

قسطنطين

سيد أحمد علي الناصري، المرجع السابق،ص444

الشكل رقم 18

الامبراطور دقليسيان

س. سيفينسيكايا، المسيحيون الأوائل والامبراطورية الرومانية خفايا القرون ، تر: د. حسان اسحاق، ط2، دار علاء الدين، سورية، دمشق ، 2007 ، ص 263.

الشكل رقم 19

القصر الذي كان يعتبر مقر اقامة ديوكليتيانوس

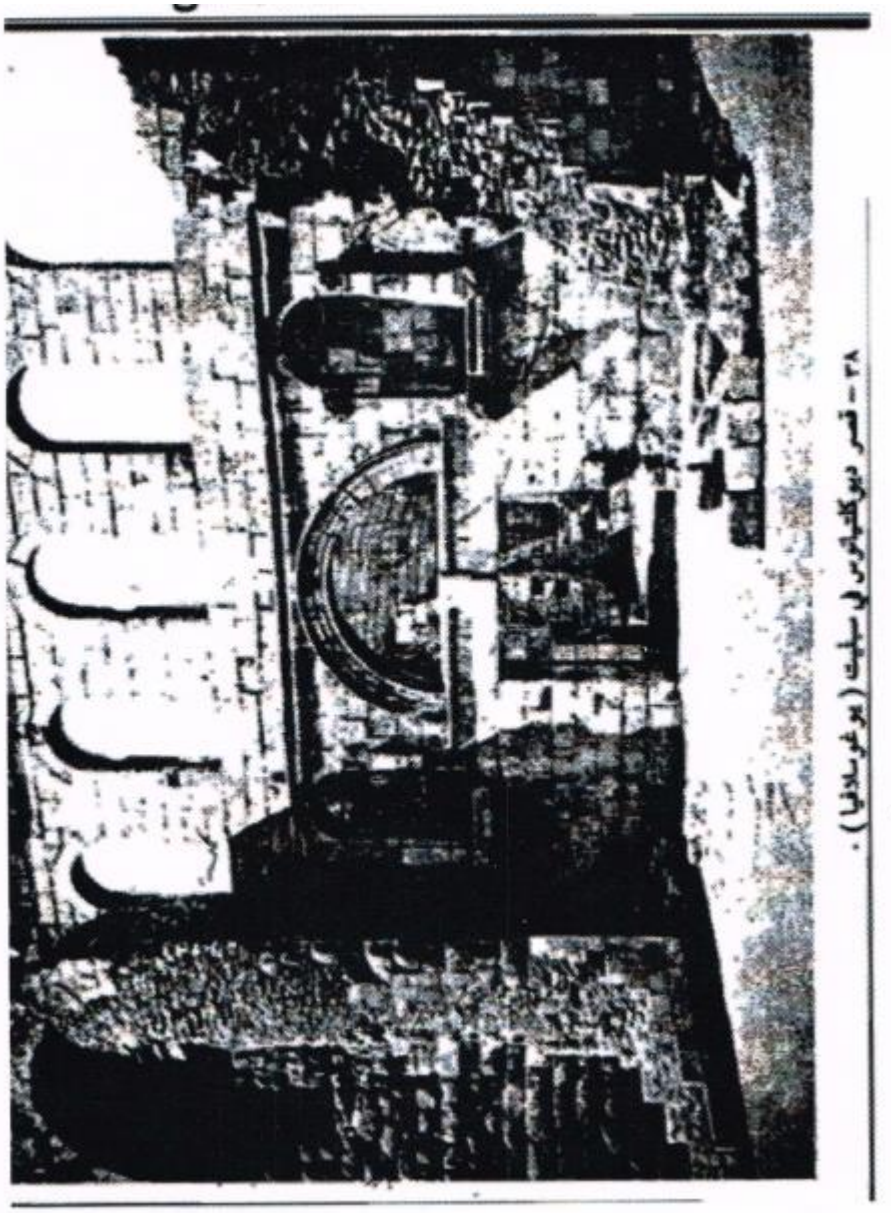

أندريه ايماروجانين أبوايه، مرجع سابق، ص 730.

الشكل رقم 20

د قلديانوس وشريكه ماكسيميانوس

سيد أحمد الناصري، المرجع السابق، ص 401

الشكل رقم 21

جسر ميبلفيان

Vryonis speros,la reference precedente,p 27

الشكل رقم 22

الامبراطور كاراكلا

عزيزة حسن السيد سليمان محجوب، النلسوريات في العصر السيفيري، مجلة الدراسات في آثار الوطن العربي، العدد 11 ، د ت، ص 415.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع :

- باللغة العربية :

1- المصادر

1. أورسيوس، تاريخ العالم، تر: عبد الرحمان بدوي، ط1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1982.
2. القيصري يوسابيوس ، تاريخ الكنيسة، تر، القمص مرقس داود، ط1، مكتبة المحبة، القاهرة، 1960م.
3. القيصري يوسابيوس ، حياة قسطنطين العظيم تر: القمص مرقس داود، د.ط، مكتبة المحبة القبطية الارثوذكسية، مصر، د.ت.

2- المراجع

4. أحمد سامي سعيد ، تاريخ الرومان، د.ط، مكتبة المهتدين الإسلامية، بغداد، د.ت
5. أفندي عماد الدين، أطلس حضارات العام القديمة، الطبعة الثانية، دار الشرق الغربي للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان ،2016.
6. آل برجل أحمد سيّد حامد ، 1000معلومة عن الأندلس –الفردوس المفقود– د.ط ، القاهرة ، د.ت .
7. إيغلتون تيري ، أوهام مابعد الحداثة ،تر: ثائر ديب ،ط.1، المركز العربي للأبحاث ، قطر ،2001.
8. ايمار أندريه و أبوايه جانين ، تاريخ الحضارات العام روما وامبراطوريتها، مجلد 02، ط2، دار منشورات عويدات، بيروت، باريس ، 1986.
9. باركلاف ماريتمان، الدولة والامبراطورية في العصور الوسطى، ترجوسيف نسيم يوسف، ط1، دار المعارف، مصر، 1966.

10. البهجي إيناس حسني ، تاريخ دولة الأندلس ، ط.1 ،مركز الكتاب الأكاديمي ، عمان ، الأردن ، 2018 .

11. بيشوب موريس : تاريخ أوربا في العصور الوسطى ، ترجمة : علي السيد علي الطبعة الأولى ، القاهرة ، 2005

12. توينبي أرنولد : مختصر في دراسة للتاريخ ، ترجمة : فؤاد محمد شبل، مر: محمد شفيق غربال، ج1، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة، 2001 .

13. الجنزوري علية ، البابوية والامبراطورية الرومانية، د.ط، دار الفكر العربي، القاهرة، 1946م.

14. جيبون إدوارد: إضمحلال الامبراطورية الرومانية وسقوطها، ترجمة محمد علي أبو درة، الجزء الأول، الطبعة الثانية،1997.

15. حافظ أحمد غانم : الامبراطورية الرومانية من النشأة إلى الانهيار ، دار المعرفة الجامعية ، الاسكندرية ، 2007.

16. حافظ أحمد غانم ،الإمبراطورية الرومانية من النشأة إلى الإنهيار ، د . ط ، دار المعرفة الجامعية ، الاسكندرية ، مصر ،2007 .

17. حسن حسن إبراهيم ، الطنطاوي أحمد صادق ، تاريخ العصور الوسطى في الشرق والغرب، ط2، دار الطباعة الاهلية، القاهرة، 1933.

18. الحويري محمود محمد : رؤية في سقوط الإمبراطورية الرومانية ،الطبعة الثالث ، دار المعارف ،1995.

19. خميس ابراهيم إبراهيم ، حسن عبد الوهاب حسن وآخرون، معالم التاريخ البيزنطي (السياسي والحضاري) د ط، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 2003م.

20. داهموس جوزيف ، سبع معارك فاصلة في العصور الوسطى، تر : محمد فتحي الشاعر ، ط.2 ،مصر، د.ت.

21. ددلي دورالد، حضارة روما، د.ط، الإدارة العامة للثقافة بوزارة التعليم العالي، دت.

22. ديفيز، أوروبا في العصور الوسطى، تر، عبد الحميد حمدي محمود، ط1، دار المعارف، مصر، 1958.

23. ديلماس كلود ، تاريخ الحضارة الأوروبية، تر، كوليت حبيب، د.ط، الفن الحديث العالمي، 2012.

24. رأفت عبد الحميد، هسى ج.م – العالم البيزنطي، د.ط، عين الدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، 1997.

25. ربيع حسين محمود: دراسات في تاريخ الدولة البيزنطية، دار النهضة العربية، د.ط، القاهرة،1973.

26. رزق الله أيوب إبراهيم ، التاريخ الروماني، ط.1، الشركة العالمية للكتاب، لبنان، 1996.

27. رستم أسد ، الروم، د.ط، مؤسسة هنداوي سي أي سي مملكة المتحدة، 2018.

28. الرفعت بك محمد و حسونة محمد أحمد ، معالم تاريخ العصور الوسطى ، ط 1 ، مطبعة مصر لشركة مساهمة مصرية ، مصر ،1925 .

29. رنسيمان ستيفن: الحضارة البيزنطية، الطبعة الثانية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1998.

30. روستوفترف، تاريخ الإمبراطورية الرومانية الاجتماعية والاقتصادية، تر، زكي علي محمد سليم سالم، مكتبة النهضة المصرية، مصر، 1957م.

31. ستي محمد ، الثورة وبريق الحرية، د.ط، الأوهم للنشر، القاهرة، 2017.

32. السعدني محمود إبراهيم ، حضارة الرومان منذ نشأتها وحتى نهاية القرن الأول الميلادي، ط1، عين للدراسات والبحوث.

33. سفينسيكيا: المسيحيون الأوائل والامبراطورية الرومانية، ترجمة: د.حسان مخائيل اسحق، الطبعة الثانية، دار علاء الدين، 2007.

34. شرف عبد الحميد ، 14 قرنا من الصراع بين الشرق والغرب، د.ط، سما للنشر والتوزيع، الكويت، 2015.

35. الشيخ حسين ، الروماني ، دار المعرفة الجامعية للطبع والنشر والتوزيع ، الاسكندرية ، 2005.

36. الشيخ حسين ، دراسات في تاريخ الحضارات القديمة الرومان، ج2، د.ط، دار المعرفة الجامعية، مصر، 2003م.

37. الصّلابي علي محمد ، صفحات من التاريخ الإسلامي في الشمال الإفريقي صفحات مشرقة من التاريخ الإسلامي ، ج 1 ، مكتبة الثقافة الدينية ،د .ت .

38. الطنطاوي رافع: تاريخ مصر والعرب قبل الاسلام، د.ط، ج3، مكتبة الاسرة، مصر، 2010.

39. طوخان إبراهيم علي ، دراسات في تاريخ أوروبا في العصور الوسطى ، ج.1 ،مكتبة النهضة المصرية ،مصر ،1958.

40. عاشور عبد الفتاح ، تاريخ أوروبا في العصور الوسطى، د.ط، دار النهضة العربية، بيروت، 1976.

41. عبيد إسحاق ، أوروبا في العصور الوسطى المفهوم والحضارة، د.ط، دار الفكر العربي، القاهرة، 2006.

42. عبيد طه خضر ، تاريخ الدولة البيزنطية 324-1453، ط2، د.ت، دون دار نشر، سنة 2012.

43. العريني الباز ، تاريخ أوروبا في العصور الوسطى، دار النهضة العربية، د.ط، بيروت لبنان.

44. عكاشة علي وآخرون، اليونان والرومان، ط1، دار الامل للنشر، الاردن، 1991.

45. العلام عبد الرحيم: سياقات تشكل المجال السياسي الديني في بدايات الفترة الوسيطية، د.ط، 2019.

46. عمران محمد سعيد: حضارة الامبراطورية البيزنطية، د.ط، دار المعرفة الجامعية، بيروت، 2011.

47. عمران محمود سعيد ، معالم تاريخ أوروبا في العصور الوسطى، دون طبعة، دار المعرفة الجامعية، مصر.

48. فرج وسام عبد العزيز ، بيزنطة قراءة في التاريخ السياسي الإداري، ط1، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، مصر2004.

49. فرج وسام عبد العزيز ، دراسات في تاريخ وحضارة الإمبراطورية البزنطية من 324 – 1025م، ج1، د ط، 1983.

50. فرح نعيم ، الحضارة الأوروبية في العصور الوسطى، الطبعة الثانية، منشورات جامعة دمشق، سوريا 1999.

51. الكيلاني جمال الدين صالح ، في التاريخ الأوروبي الوسيط، د.ط، مكتبة مصطفى للدراسات، القاهرة، 2011.

52. لبن بول ستانلي ، كلاسيكيات التاريخ ، تر : علي الجارم ، د.ط ، الدار المصرية اللبنانية ، مصر ، د.ت .

53. لورنس بوحنا ، تاريخ الكنيسة المسيحية القديمة والحديثة تر: هنري هرس، د.ط، مطبعة الأمير كانية، بيروت، 1875.

54. مدني صلاح ، تاريخ العصور الوسطى في أوروبا، الفترة الأولى بين نهاية القرن4 والقرن 11 الميلاديين، 1973.

55. المنصوري حسين ، مجمع نيقية المجمع المسكوني الأول، ط1، إصدارات أنصار الإمام مهدي، 2011.

56. منير عمرو عبد العزيز ، تاريخ أوروبا في العصور الوسطى، د.ط ، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، 1434 هـ.

57. مونتسكيو، تأملات في تاريخ الرومان أسباب النهوض والانحطـــاط، تـــر، عبـــد الله العروي، ط1، المركز الثقافي العربي، المغرب، 2011.

58. الناصري سيد أحمد علي ، تاريخ الإمبراطورية الرومانية –السياسي والحضـــاري– ط2 ،دار النهضة العربية ، القاهرة ، مصر،1991.

59. نورمان كانتور ، العصور الوسطى الباكرة، تر: قاســـم عبـــده قاســـم، د.ط، عـــين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، مصر، 1969م.

60. هلستر ورن ، أوروبا في العصور الوسطى، تر محمد فتحي الشاعر، مكتبة الأنجلو، المصرية مصر 1977م.

61. ورت تشارلز ، الإمبراطورية الرومانية تر: رمزي عبده جرجس، مكتبـــة الاســـرة، مصر، 1999.

3- المجلات والدوريات

62. زايد موسى معمر ، إصلاحات الإمبراطورية سيتيموسسيفروس العســـكرية وأثرهـــا على منطقة المدن الطرابلسية خلال عهد الاسرة السيفيرية (192م–235م) مجلـــة جامعـــة الزيتونة، تونس، العدد30، يونيو 2019.

63. سليمان حمد عدلي ، ريكر ودوره السياسي في الإمبراطوريـــة الرومانيـــة الغربيـــة 419–472م / مجلة كلية الآداب، العدد53، أفريل، 2020.

64. عبد الحفيظ سعيد محمد سعيد ، "الاعتراف بالمسيحية زمن الامبراطـــور قســـطنطين الأول (306–337م)، مجلة ليبية العالمية، ليبيا بنغازي، العدد 5، يناير 2016، نقلا عـــن : Bury,j.b. History of the later Roman Empire 2 Vols london (1923).

65. علي محمد جمال مبارك أحمد ، دور الشعوب الجرمانية في حضـــارة الغـــرب بعـــد سقوط الإمبراطورية الرومانية الغربية، مجلة كلية الادب جامعة بورسعيد، مصـــرن العـــدد 17، جانفي 2021م.

66. محجوب عزيزة حسن السيد سليمان ، النساء السوريا في العصر السيفيري، مجلة الدراسات في آثار الوطن العربي، العدد11، دط.

67. مختار ناير :<< الرومان والإبحار في الحوض الجنوبي للبحر الأبيض المتوسط >>،عصور، العدد 37 ،أكتوبر – ديسمبر 2017 .

4- الرسائل والبحوث الجامعية :

68. ادريس نعيمة ، أزمة المسيحية بين النقد التاريخي والتطور العلمي، شهادة دكتوراه، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم الفلسفة، جامعة منتوري، قسنطينة، 2007-2008م.

69. سحالي أحمد ، إصلاحات قسطنطين الأول الدينية والسياسية في أوروبا (337-306م) شهادة ماجستير ويزة آيت عمارة، جامعة الجزائر2، 2014-2015.

70. الصالح العود محمد ، التحولات الحضارية في شمال إفريقيا في الفترة الوندالية، شهادة ماجستير، محمد الصغير غانم، جامعة منتوري، قسنطينة، 2009، 2010.

5- المعاجم والقواميس :

71. التونجي محمد ، الأسمر راجي ، المعجم المفصل في علوم اللغة (الألسنيات)، ج1، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت.

6- المحاضرات والدراسات والبحث الجامعية

72. بوصبيع عمر ، شبه جزيرة إيطاليا: الدراسة الطبيعية، جامعة حمه لخضر، الوادي، 4-1-2021.

73. حديد رائد سامي ،القبائل الجرمانية ،كلية التربية للعلوم الإنسانية ،جامعة تكريت ،2019-2020 .

74. الشوشان آمال سعيد محمد ، الامتيازات الممنوحة للجيش الروماني والنتائج المترتبة عليها من 27 ق.م 235م، كلية التربية الزاوية، جامعة الزاوية.

75. علي تامر مكي ، محاضرات التاريخ السياسي للعصور الوسطى الأوروبية ، جامعة المستنصرية ، كلية الآداب ،قسم التاريخ ،2018 .

7- المواقع الالكترونية

76. https://arz.m.wikipedia.org
77. https://ar.wikipedia.org

باللغة الأجنبية:

1- المصدر:

78. cassius Dion, histoire romaine ,librairie de firmindidotyreres, filset,imprimeurs de l'instit ut,kuegacob,56,paris 4870.

2- المراجع :

79. turclein Peter.jonatbanadam.tbomas hall .east-west orientation of historical empires and modernstates .journal of world .2006. .
80. F.contor Norman, Mediereal history the life and death of Acivilization, Mcmillon 1972.
81. stah Diana and alexander rubel, molilityrexarch on the black searegion, vol-vi mega publiching house, napoco, 2016 .
82. speros Vryonis. Byzahtium and europe, london,1967
83. cheynet Jean, histoire de Byzance, presses universitaires, de France, 2005

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات:

إهداء	
مقدمة	01
مدخل	07
الفصل الأول **أوضاع الإمبراطورية الرومانية خلال القرنين الثالث والرابع**	
المبحث الأول: الأوضاع العامة للإمبراطورية	12
1_الحياة السياسية والاقتصادية	12
2_ الحياة الدينية	21
المبحث الثاني: إصلاحات دقليانوس وقسطنطين	24
1_ إصلاحات دقليانوس	24
2_ إصلاحات قسطنطين	29
الفصل الثاني **أسبابو مجريات سقوط روما في القرن الخامس**	
المبحث الأول: الأسباب الداخليّة و الخارجيّة	36
1_الأسباب الداخلية	36
2_الأسباب الخارجية	46
المبحث الثاني: المجريات والأحداث	52
1-القبائل الجرمانية	52
2-قبائل الفرنجة والوندال	56
الفصل الثالث **نتائج سقوط روما وآراء المؤرخين حول إنهيارها**	
المبحث الأول : انعكاسات سقوط روما	61
1_ الأثر على العالم ما بعد أوروبا الرومانية	61

2_ الأثر على اللغة	63
المبحث الثاني: آراء المؤرخين حول إضمحلال روما	64
1_ رأي جونز وآخرون	64
2_ رد كولتون وبعض آراء المؤرخين	66
الخاتمة	72
الملاحق	75
قائمة المصادر والمراجع	98